أساليب تحقيق الغايات التربوية البنائية في الآيات المختومة بصيغة الرجاء في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية "دراسة تحليلية"

إعداد

د/ حمدي حسن أيوب عبد الرازق

أستاذ التربية الإسلامية المساعد

كلية التربية جامعة الأزهر بالقاهرة

مستخلص:

هدف البحث إلى دراسة الغايات التربوية البنائية وأساليب تحقيقها في الآيات القرآنية المختومة بصيغة الرجاء (لعلكم . لعلهم)، ودلالاتها التربوية، إذ بلغت جميع الغايات (١٥) غاية، سبع منها كغايات بنائية، وهي: (التفكر، والتعقل، والتذكر، والتفقه، وتصحيح المسار، والتضرع، والكف)، وست كغايات وسطى، هي: (التقوى، والهداية، والحذر، والشكر، والإسلام، والإيمان بلقاء الله)، وغاياتان نهائيتان، هما: (نوال الرحمة، والفلاح)، واقتصرت الدراسة على الغايات السبع البنائية.

وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج، من أهمها: أن لكل غاية من هذه الغايات مجموعة من الأساليب التي وردت بالآيات تسهم في تحقيقها، بلغت ستةً وعشرين أسلوبًا، منها ما هو مشترك بين أكثر من غاية، ومنها ما هو مختص بغاية ما، وتمثلت الأساليب المشتركة في أحد عشر أسلوبًا، هي: وجود معلم ومنهج . توافر محتوى يتسم بـ (البصيرة . التمام . الهدى . الرحمة . التيسير) . توضيح الآيات (تبيين . تفصيل . تصريف . توصيل . تجريب) . الإنذار والوعيد . الثواب والعقاب . الوعظ . الوصية . ضرب الأمثال . التقوى . الطاعة والاتباع . العبادة والبر، وأكثر الأساليب المشتركة في تحقيق الغايات، هو أسلوب (توضيح الآيات بتبيينها وتفصيلها وتصريفها وتوصيلها وتجريبها)، إذ جاء سبع عشرة مرة باعتباره أسلوبًا مشتركًا مسهمًا في تحقيق (٨) غايات تربوية، هي: التذكر، والتفقه، والتعقل، والتفكر، وتصحيح المسار، والتقوى، والهدى، والإيمان بلقاء الله.

وتوصي الدراسة أن يكون التركيز في إعداد المناهج والكتب الدراسية على التعليل وبيان الفوائد والتوظيف الحياتي، حتى يكون هذا مسهمًا في تربية (العقل) على مهارة (التعقّل)، وضرورة الاهتمام بتدريب المعلمين على كفايات (التبيين)، وأهمها: الفصاحة والبيان وامتلاك الثروة اللغوية التي تكفيهم لتوضيح الدلائل والمعارف وغيرها، وأن تركز نظم التربية والتعليم في مرحلة الطفولة على إتقان الطفل لغة التعلم وفهمها باعتبارها أداة التعلم، دون أن يتم إضعافها بتداخلها مع لغات أخرى، وأن يكون لكل شهادة من الشهادات (مدة صلاحية) لا ينتقل المتعلم للأعلى منها بعد انقضاء المدة، إلا إذا اجتاز اختبارًا للتأكد من تذكره وفهمه لما درسه، وأن يشتمل المحتوى التعليمي على خصائص (البصيرة . الهدى . الرحمة . التيسير)، وضرورة أن يكون معلم اللغة من أهلها، لتتحقق خاصية (التيسير) فتتحقق غاية (التذكر).

الكلمات المفتاحية: الغايات التربوية . أساليب . القرآن الكريم . دلالات تربوية.

Methods of Accomplishing Formative Educational Goals in the Verses Sealed with the formula of Hopefulness State in the Holy Qur'an and their Educational Implications "An analytical study"

Abstract

This study aimed to explore the methods of accomplishing formative educational goals in the Qur'anic verses sealed with the style of hopefulness state (perhaps you would لَعَلَّكُمْ – perhaps they would لَعَلَّهُمْ) and their educational implications. There exist fifteen educational goals, of which there are seven formative educational goals, i.e., giving thought– using reason, remembering, understanding, repenting and accepting Islam, believing with humility and stopping evil actions. In addition, there are six intermediate goals, i.e., attaining piousness, finding the way to your righteous Islamic destination, awareness of evils, thanking Allah, submitting to the will of Allah and believing in meeting Allah. Also, there are two final goals, i.e., obtaining the mercy of Allah and succeeding. The study was restricted to the seven formative goals.

Among the most important findings revealed by the study were the following: Each one of these goals has a set of methods mentioned in the Qur'anic verses that contribute to achieving them which reached twenty six methods. There are common methods for achieving more than one goal while some of them are specific to a certain goal. The eleven common methods are as follows: : the presence of a curriculum and teacher, availability of a content characterized with: (enlightening with the pros, perfection, enlightening with the cons, receiving the mercy of Allah, facilitation), clarification of the Qur'anic verses(making perfectly clear, explaining in details, particularizing the verses, conveying, experimenting), warning, reward and punishment, admonishing, commanding, presenting examples, piousness, obedience to Allah, worshiping Allah.

The most common method for achieving goals is the method of clarification of the Qur'anic verses through (making perfectly clear, explaining in details, detailing the verses, conveying، experimenting). This method was repeated seventeen times and contributed to achieving eight educational goals,

i.e., remembrance, understanding, prudence, contemplation, repenting and accepting Islam, attaining piousness. enlightening with the cons, belief in meeting Allah.

The study recommended that the focus in preparing curricula and textbooks should be on showing reasons, explaining the benefits and mastering life skills, so as to contribute to educating the mind on prudence. Additionally, the study showed the necessity of paying attention to train the teachers on the competencies of clarification, the most important of which are: eloquence and possession of linguistic wealth which enable them to clarify evidence and knowledge. Also, educational systems in the childhood stage should focus on helping children master and understand the language as instrument to learning, without diminishing it through overlapping with other languages.

Each certificate should have a (validity period) so that the learner does not move to the higher stage of it unless the period elapses, and he/ she passes a test to ensure that he remembers and understands what he/ she studies. . Also, educational content should be characterized with: enlightening with the pros, enlightening with the cons, receiving the mercy of Allah and facilitation), and the language teacher should be native speaker in order for the (facilitation) characteristic to be realized and the goal of (remembering) to be achieved.

Keywords: educational goals – methods – the Holy Qur'an – educational implications

المقدمة:

تتنوع مجالات البحث في التربية الإسلامية، فمنها (الأصولي، والتاريخي، والفلسفي، والواقعي، والمنهجي، والبيني)، ويعد المجال الأصولي من أكثر المجالات ارتباطًا بالتربية الإسلامية، إذ يعتمد على المصدر الأصلي للتربية الإسلامية، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وتأتي هذه الدراسة باعتبارها إحدى دراسات (المجال الأصولي) إذ سعت إلى تناول قضية تربوية في القرآن الكريم، من خلال تدبر آياته وفهم معانيها، وتحليلها تربويّا، وخاصة تلك الآيات محل الدراسة التي ختمت بقوله تعالى: (لعلكم) أو (لعلهم) إدراكًا أن القرآن الكريم عندما يستخدم هذا الأسلوب فإن ثمة ارتباطًا بين ما قبل (لعل)، وما بعدها، وأن ما جاء قبلها قد يُعد أسلوبًا أو طريقة لتحقيق ما بعدها، كقوله تعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٢٤٢] وقوله تعالى: {...وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم: ٢٥]، وقوله تعالى: {...انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} [الأنعام: ٦٥]، وقوله تعالى: {...فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: ١٧٦]، وهذه الغايات وأساليب تحقيقها يمكن استنباط بعض دلالاتها التربوية التي قد تفيد في المجالين التربوي والتعليمي كتطبيقات تربوية.

ويدل حرف «لَعَلَّ» عَلَى الرَّجَاءِ، وَالرَّجَاءُ هُوَ الْإِخْبَار عَن تهيىء وُقُوعِ أَمْرٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وُقُوعًا مُؤَكَّدًا، فَتَبَيَّنَ أَنَّ لَعَلَّ حَرْفٌ مَدْلُولُهُ خَبَرِيٌّ لِأَنَّهَا إِخْبَارٌ عَنْ تَأَكُّدِ حُصُولِ الشَّيْءِ، وَمَعْنَاهَا مُرَكَّبٌ مِنْ رَجَاءِ الْمُتَكَلِّمِ فِي الْمُخَاطَبِ وَهُوَ مَعْنًى جُزْئِيٌّ حَرْفِيٌّ، وَقَدْ شَاعَ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلِ الْعُلُومِ الْحَيْرَةُ فِي مَحْمَلِ لَعَلَّ الْوَاقِعَةِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ مَعْنَى التَّرَجِّي يَقْتَضِي عَدَمَ الْجَزْمِ بِوُقُوعِ الْمَرْجُوِّ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ فَلِلشَّكِّ جَانِبٌ فِي مَعْنَاهَا... وَهَذَا لَا يُنَاسِبُ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَحْوَالِ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُقُوعِهَا... وَلَهُمْ فِي تَأْوِيلِ لَعَلَّ الْوَاقِعَةِ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وُجُوهٌ: أَحَدُهَا أنها عَلَى بَابِهَا، وَالتَّرَجِّي أَوِ التَّوَقُّعُ إِنَّمَا هُوَ فِي حَيِّزِ الْمُخَاطَبِينَ، يَعْنِي أَنَّهَا لِلْإِخْبَارِ بِأَنَّ الْمُخَاطَبَ يَكُونُ مَرْجُوًّا...ثَانِيهَا: أَنَّ لَعَلَّ لِلْإِطْمَاعِ تَقُولُ لِلْقَاصِدِ لَعَلَّكَ تَنَالُ بُغْيَتَكَ، وَالْإِطْمَاعُ أَيْضًا مَعْنًى مَجَازِيٌّ لِلرَّجَاءِ... ثَالِثُهَا: أَنَّهَا اسْتِعَارَةٌ، فهي واقعة مَوْقِعَ الْمَجَازِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ عِبَادَهُ لِيَتَعَبَّدَهُمْ وَوَضَعَ فِي أَيْدِيهِمْ زِمَامَ الِاخْتِيَارِ وَأَرَادَ مِنْهُمُ الْخَيْرَ (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١، ص٣٢٨، ٣٢٩)، ورابعها: أنها للتعليل بمعنى (كي) (الأصبهاني،

١٩٨٨،ج٣، ص١٣٢) فمن ذلك قوله تعالى: {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، أي: كَيْ تَتَّقُوا (ابن يعيش، ٢٠٠، ج٤، ص٥٧٠)

ومما سبق يتضح أن معناها يختلف حسب السياق الذي وردت فيه، وأن (لعل) الواردة في الآيات المنتهية بـ (لعلكم) أو (لعلهم) تشير إلى وجود أسلوب يسهم في تحقيق غاية ما، إما على سبيل التعليل بمعنى (لكي تعقلوا) مثلا، أو على سبيل الرجاء بمعنى (رجاء حصول تذكّركم)، في تفسير قوله تعالى (لعلكم تذكرون)، فكل وسيلة شرعها الله جاءت لحكمة وغاية.

وبتتبع الآيات التي اشتملت على صيغة الرجاء (لعلّ) في القرآن الكريم، يتضح أنها جاءت في صور مختلفة وفق الجدول التالي:

جدول (١) تكرار صيغة الرجاء (لعل) في القرآن الكريم

الكلمة	تكرارها في القرآن	الداخل في حدود الدراسة	نوعها		المستبعد
			مستقلة (غير معطوفة)	مشتركة (معطوفة)	
لعلّكم	٦٨	٦١	٥٢	٩	٧
لعلهم	٤٣	٣٤	٣٢	٢	٩
لعله	٣	٠	٠	٠	٣
لعلك	٢	٠	٠	٠	٢
لعلّي	٦	٠	٠	٠	٦
لعلّ	٣	٠	٠	٠	٣
إجمالي	١٢٥	٩٥	٨٤	١١	٣٠

يتضح من الجدول السابق أن كلمة (لعل) وردت في القرآن الكريم (١٢٥) مرة، منها (٦٨) بصيغة الخطاب للجمع (لعلكم)، و (٤٣) بصيغة الإخبار عن الجمع الغائب (لعلهم)، و(٣) بصيغة الإخبار عن المفرد (لعله)، و(٢) بصيغة الخطاب للمفرد (لعلك)، و(٦) بصيغة المفرد المتكلم (لعلّي)، و (٣) بصيغة (لعلّ) المجردة من الضمائر، والذي يدخل في نطاق الدراسة من هذه الصيغ هي صيغ الجمع (لعلكم، لعلهم) فقط، ويتم الاقتصار فيهما على الصيغ التي وردت في كلام الله تعالى على سبيل الحقيقة بعد استبعاد الصيغ التي وردت في كلام البشر من الرسل وغيرهم، والصيغة التي وردت على سبيل التهكم.

ومن أمثلة الآيات التي لا تدخل في نطاق الدراسة: ماجاء بصيغة غير صيغة الجمع: كقوله تعالى: {وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} [الأنبياء: ١١١]، وقوله تعالى: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٣]، وقوله تعالى: {...لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٤٦]، وما جاء بصيغة الجمع على لسان البشر: كقوله تعالى: {وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [يوسف: ٦٢]، وقوله تعالى: {قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ} [الأنبياء: ٦١]، وقوله تعالى: {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ} [الشعراء: ١٢٩]، وقوله تعالى: {إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} [النمل: ٧]، وما جاء على وجه السخرية: كقوله تعالى: {لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ١٣].

ولذا تدخل (٩٥) آية في نطاق الدراسة، تشتمل على مجموعة من الغايات التربوية، بلغت (١٥) غاية، يمكن تصنيفها إلى ثلاث مجموعات: الأولى، الغايات البنائية، وعددها سبع غايات، أربع منها تنموية، هي: (التفكر، والتعقل، والتذكر، والتفقه)، وثلاث تقويمية، هي: (التضرع، وتصحيح المسار، والكف أو الانتهاء)، والثانية: الغايات الوسطى، وعددها ست غايات، هي: (التقوى، والهداية، والحذر، والشكر، والإسلام، والإيمان بلقاء الله)، والثالثة: الغايات النهائية الكبرى: وعددها اثنتان، هما: (نوال الرحمة، والفلاح)

ولكل غاية من هذه الغايات أساليب تسهم في تحقيقها، وردت في الآيات المذكورة فيها، ستتناولها الدراسة إجمالا مع كل الغايات، وتفصيلا مع الغايات التربوية البنائية.

قضية الدراسة وتساؤلاتها: يعد القرآن الكريم المصدر الأصلي للتربية الإسلامية، ومن خلال دراسة آياته وتحليلها تربويًّا يمكن استنباط عديد من المضامين التربوية، وأثناء تدبّر الباحث في كلام الله تعالى؛ لفت نظره تلك الآيات المختومة بصيغة الرجاء وما يسبق حرف الرجاء من أساليب، وما يتبعه من غايات مختلفة، مما دفعه إلى محاولة دراسة هذه الآيات، ومن هنا يمكن صياغة قضية الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما أساليب تحقيق الغايات التربوية البنائية في الآيات المختومة بصيغة الرجاء في القرآن الكريم؟ وما دلالاتها التربوية؟

ويتفرع عن هذا التساؤل التساؤلات الفرعية التالية:

(١) ما الغايات التربوية في الآيات المختومة بصيغة الرجاء في القرآن الكريم؟

(٢) ما أساليب تحقيق الغايات التربوية البنائية في الآيات المختومة بصيغة الرجاء في القرآن الكريم؟

(٣) ما الدلالات التربوية للغايات التربوية البنائية وأساليب تحقيقها في الآيات المختومة بصيغة الرجاء في القرآن الكريم؟

أهداف الدراسة: سعت الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

(١)تحديد الغايات التربوية في الآيات المنتهية بصيغة الرجاء في القرآن الكريم، وتصنيفها.

(٢)تحديد الأساليب التي تسهم في تحقيق الغايات التربوية كما وردت في الآيات بصورة إجمالية كمية.

(٣)دراسة الغايات التربوية البنائية بشكل تفصيلي.

(٤)دراسة أساليب تحقيق الغايات البنائية كما وردت في الآيات، وتحليلها تربويًا.

(٥)استنباط مجموعة من الدلالات التربوية المرتبطة بأساليب تحقيق الغايات التربوية البنائية.

أهمية الدراسة: تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال ما يأتي:

(١)كون القرآن الكريم . مع السنة النبوية . المصدر الأصلي للتربية الإسلامية، وأن دراسة قضية تربوية من خلاله يعد دراسة أصولية في مجال التربية الإسلامية.

(٢) أن دراسة الغايات التربوية في الآيات المنتهية بصيغة الرجاء في القرآن الكريم، لم تحظ بدراسة تربوية من قبل.

(٣)يمكن أن يستفيد من نتائج هذه الدراسة:

- المعلمون والمعلمات من خلال معرفة أساليب تحقيق الغايات البنائية التنموية (التفكر، والتعقل، والتذكر، والتفقه) وأساليب تحقيق الغايات البنائية التقويمية (تصحيح المسار . التضرع . الكف أو الانتهاء) ليستطيعوا تطبيقها في عملية التعليم.
- الآباء والأمهات، من خلال وضع مجموعة من التطبيقات التربوية التي تسهم في تربية أبنائهم، وفق الغايات التربوية السابقة.
- الباحثون في مجال التربية الإسلامية؛ حيث تفتح أمامهم مجالا لإجراء مزيد من الدراسات الأصولية في القرآن الكريم والسنة النبوية.
- التربويون وواضعو السياسات التربوية بصفة عامة، من خلال إبراز بعض المبادئ والمفاهيم والأساليب التربوية التي يمكن الاستفادة منها في المجال التربوي.

مصطلحات الدراسة:

الغايات التربوية: ويقصد بها الأهداف التربوية الكبرى لمنظومة التربية ككل بنوعيها النظامية وغير النظامية في مجتمع ما، والغاية هي الشيء ذو القيمة الذي ينتهي إليه كل سعي، والذي يستحق أن يتمسك به أفراد المجتمع ككل، في جميع مستوياتهم العمرية، وفي شتى ظروف حياتهم، يحفظ لهم كيانهم ويجعل حياتهم الدنيوية والأخروية سعيدة، فالغايات هي الهدف من كل الأهداف، ويتفرع منها أهداف تابعة وأخرى فرعية قد تختلف باختلاف العصور والأحداث، إلا أن الغايات تظل ثابتة.(شحاتة، النجار، ٢٠٠٣، ص٢٢٧، ٢٢٨)

الغايات التربوية في الآيات المختومة بصيغة الرجاء في القرآن الكريم: هي تلك الأهداف العامة التي أرادها الله تعالى أن تتحقق في سلوكيات عباده، وجعلها مسبوقة بأسلوب ما في آية من آيات القرآن المنتهية بـ (لعل) في الخطاب الموجه من الله تعالى لجمع من عباده، والمتمثل فيما جاء بعد كلمة (لعلكم) وفي الإخبار من الله تعالى عن جمع من عباده المتمثل في قوله تعالى: (لعلهم)، على سبيل الحقيقة، وهي خمسة عشر غاية، هي: (التفكر، والتعقل، والتذكر، والتفقه، وتصحيح المسار، والتضرع، والكف أو الانتهاء، والتقوى، والهداية، والحذر، والشكر، والإسلام، والإيمان بلقاء الله، ونوال الرحمة، والفلاح)

الغايات التربوية البنائية في الآيات المختومة بصيغة الرجاء في القرآن الكريم: ويقصد بها تلك الأهداف التي يريدها الله من عباده في تحقيق الاستخلاف الأمثل من خلال بناء الشخصية المسلمة السوية، وهي عبارة عن أساليب تنموية تسهم في تنمية القدرات العقلية والمعرفية، هي: (التفكر . التعقّل . التذكر . التفقه)، وأساليب تقويمية تسهم في علاج بعض السلوكيات الخاطئة وتهذيب النفس، وهي: (تصحيح المسار . التضرع . الانتهاء أو الكف)، وهذه الغايات البنائية السبع تسهم مع غيرها في تحقيق غايات أكبر.

أساليب تحقيق الغايات التربوية: هي تلك الإجراءات أو الطرائق أو الأداءات التي تعين المربي على تحقيق الهدف المراد بأقل جهد ووقت ممكنين كما وردت في الآيات محل الدراسة قبل قوله (لعلكم) أو (لعلهم) كأسلوب (تبيين الآيات) الذي ورد باعتباره أحد أساليب تحقيق غاية (التعقل) في قوله تعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٢٤٢]

الدلالات التربوية: مجموعة المبادئ والمفاهيم والأساليب والممارسات التربوية التي يمكن استباطها من الآيات محل الدراسة، ليستفيد منها المهتمون بمجال التربية من أفراد ومؤسسات.

منهج الدراسة: استخدمت الدراسة المنهج الأصولي من خلال التأمل والتدبر والتفكّر في آيات القرآن الكريم؛ استعانة بمجموعة من التفاسير المتنوعة في منهجها وأسلوبها وزمانها؛ لاستنباط الغايات التربوية التي وردت في آيات القرآن المختومة بصيغة الرجاء، وتصنيفها، ثم حصر أساليب تحقيق كل غاية منها، وكذلك دراسة هذه الأساليب التي تسهم في تحقيق الغايات التربوية البنائية بشكل تفصيلي، لاستنباط مجموعة من الدلالات التربوية المؤسسة على تحليل الآيات.

محددات الدراسة:

تحددت الدراسة موضوعيّا بالبحث في الغايات التربوية البنائية في القرآن الكريم، والتي جاءت بعد (لعل) في الخطاب الموجه من الله تعالى لجمع من عباده، والمتمثل فيما جاء بعد كلمة (لعلكم) وفي الإخبار من الله تعالى عن جمع من عباده المتمثل في قوله تعالى: (لعلهم)، على سبيل الحقيقة.

أي أن الدراسة تقتصر على الغايات البنائية، وهي: التفكر، والتعقل، والتذكر، والتفقه، وتصحيح المسار، والتضرع، والكف أو الانتهاء، ويخرج بقيد (البنائية) الغايات الوسطى، والغايتان النهائيتان، ويخرج بقيد (الخطاب الموجه من الله): الخطاب الموجه من البشر، كقول موسى (لعلكم تصطلون)، وقول إبراهيم (لعلهم إليه يرجعون)، ويخرج بقيد (لجمع من عباده) الخطاب أو الإخبار عن فرد، والمتمثل في الآيات المشتملة على (لعلّ)، و (لعله)، و (لعلّي)، و (لعلّك)، ويخرج بقيد (على سبيل الحقيقة): ما جاء على سبيل التهكم، كقوله: (لعلكم تُسألون)

الدراسات السابقة: لا توجد دراسة سابقة . في حدود اطلاع الباحث . تناولت أساليب تحقيق الغايات التربوية في آيات الرجاء في القرآن الكريم.

محاور الدراسة:

المحور الأول: الغايات التربوية في الآيات المختومة بصيغة الرجاء، وأساليب تحقيقها:

أصل الغاية: الراية، وسميت نهاية الشئ غايته، لأن كل قوم ينتهون إلى غايتهم في الحرب أي رايتهم، ثم كثر حتى قيل لكل ما ينتهى إليه غاية، ولكل غاية نهاية، ومدى الشئ ما بينه وبين غايته، ثم كثر ذلك حتى قيل للغاية مدى كما يسمى الشئ بإسم ما يقرب منه (أبو هلال العسكري، ١٤١٢هـ، ص٣٨٢) فالغَايَةُ: مَدَى الشَّيْءِ، وأقصاه، وغَايَة كلِّ شيءٍ مَداهُ ومُنْتَهاه، وَجَمْعُهَا غَايَاتٌ (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج١٥، ص١٤٣)

ويقصد بالغايات التربوية في الآيات المنتهية بـ (لعل) في القرآن الكريم: تلك الأهداف العامة التي أرادها الله من عباده لتحقيق الاستخلاف الأمثل في الأرض وذلك بالأساليب التربوية القرآنية المعروفة كضرب الأمثال وغيرها في الآيات القرآنية المنتهية بـ (لعلكم) و(لعلهم)، على سبيل الحقيقة، وهي خمسة عشر غاية، يمكن تصنيفها حسب الشكل التالي:

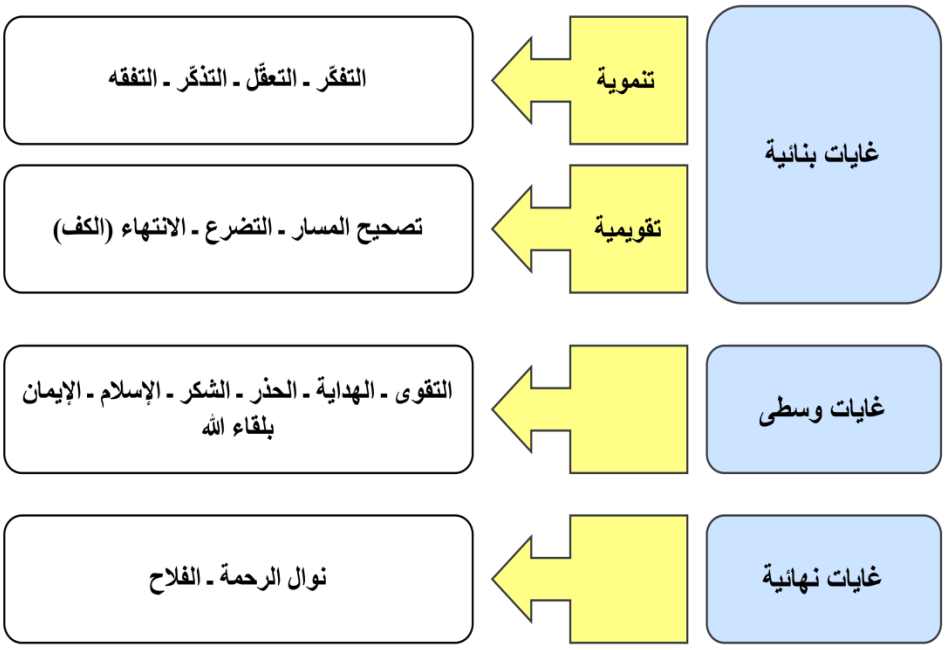

شكل (١) تصنيف الغايات التربوية في الآيات القرآنية المختومة بصيغة الرجاء

يتضح من الشكل السابق أن الغايات التربوية التي وردت في الآيات المنتهية بـ (لعلهم . لعلكم) في القرآن الكريم، بلغت (١٥) غاية، يمكن تصنيفها في ثلاثة مستويات: مستوى الغايات البنائية، ويقصد به تلك الغايات التربوية التي تسهم في بناء الشخصية المسلمة السوية، وهي عبارة عن أساليب تنموية تسهم في تنمية القدرات العقلية والمعرفية، وهي: (التفكر . التعقّل . التفقه . التذكر)، وأساليب تقويمية تسهم في علاج بعض السلوكيات الخاطئة وتهذيب النفس، وهي: (تصحيح المسار . التضرع . الانتهاء أو الكف)، وهذه الغايات البنائية السبع تسهم مع غيرها في تحقيق غايات وسطى، تتمثل في (التقوى . الهداية . الحذر . الشكر . الإسلام . الإيمان بلقاء الله)، ومن خلال هذه الغايات وغيرها يمكن أن تتحقق الغايات النهائية والمتمثلة في (نوال الرحمة . الفلاح).

ولكل غاية من هذه الغايات مجموعة من الأساليب التي وردت لتحقيقها في الآيات المختومة بصيغة الرجاء (لعلهم . لعلكم)، كما هو موضح بالجدول التالي:

جدول (٢) الغايات التربوية في الآيات القرآنية المختومة بصيغة الرجاء، وأساليب تحقيقها

تصنيف الغاية		الغاية		لفظها	ت	الأساليب المحققة للغاية			ت
غايات بنائية	تنموية	١	التفكر	تتفكرون يتفكرون	٥	١	توافر منهج مثير للتفكر بكونه (ذِكْرًا) مع معلم بمواصفات خاصة		١
						٢	توضيح الآيات (تبيين)	بالإجابة عن الأسئلة	١
								بتقريب المعقول من المحسوس	١
						٣	قص القصص		١
						٤	ضرب الأمثال		١
		٢	التعقل	تعقلون	٨	١	توضيح الآيات (تبيين . تجريب قائم على الرؤية)		٤
						٢	التعليم باللغة الأم ذات الثراء اللغوي		٢
						٣	استثارة العقل بحقائق علمية جديدة مرتبطة باهتماماته		١
						٤	الوصية		١
		٣	التذكر	يذّكَرون تذكّرون يتذكّرون	١٦	١	توافر محتوى يتسم بـ (البصيرة . الهدى . الرحمة . التيسير بلغة مفهومة وعلى لسان معلم فصيح)		٢
						٢	توضيح الآيات بـ (التبيين . التوصيل)		٣
						٣	سوق الحجج والأدلة		٢
						٤	ضرب الأمثال		٣
						٥	الوصية		٢
						٦	الوعظ		١
						٧	الإنذار والوعيد		١
						٨	العقوبة		٢
		٤	التفقه	يفقهون	١	١	توضيح الآيات بـ (التصريف)		١

تصنيف الغاية		الغاية		لفظها	ت		الأساليب المحققة للغاية	ت
	تقويمية	٥	تصحيح المسار	يرجعون	٦	١	توضيح الآيات بـ (التصريف . التفصيل)	٢
						٢	الابتلاء بالحسنات والسيئات	١
						٣	العقوبة	٣
		٦	التضرع	يتضرّعون يضّرعون	٢	١	العقوبة	٢
		٧	الكف	ينتهون	١	١	علاج السبب لا العرض	١
غايات وسطى		٨	التقوى	تتقون يتقون	١١	١	وجود محتوى يتسم بـ (التيسير باللغة الأم . الإحكام . تنوع الأساليب)	٢
						٢	توضيح الآيات (تبيين)	١
						٣	الإنذار والوعيد	١
						٤	العقوبة	١
						٥	الوعظ	١
						٦	الوصية	١
						٧	التمسك بالمنهج والعمل به بجد ونشاط	٢
						٨	العبادة والبر	٢
		٩	الهداية	تهتدون . يرشدون	١٠	١	وجود معلم وكتاب أو أحدهما	٢
						٢	توضيح الآيات (تبيين . أسلوب المعارضات)	٢
						٣	الإنذار والوعيد	١
						٤	تعدد الطرائق (السبل)	٣
						٥	الطاعة والاتباع	١
						٦	الإيمان بالله والاستجابة له	١
		١٠	الحذر	يحذرون	١	١	التفقه لإنذار الآخرين	١
		١١	الشكر	تشكرون	١٤	١	العطاء المتنوع والدعم الهادف	١٤
		١	الإسلام	تُسلمون	١	١	ارتباط المحتوى بالأهداف	١

تصنيف الغاية	الغاية		لفظها	ت	الأساليب المحققة للغاية		ت
	٢						
	١٣	الإيمان بلقاء الله	بلقاء ربهم يؤمنون . بلقاء ربكم توقنون	٢	توضيح الآيات (تفصيل)	١	١
					وجود محتوى يتسم بـ (التمام - الهدى . الرحمة . التفصيل)	١	١
غايات نهائية	١٤	نوال الرحمة	تُرحَمون	٦	وجود معلم وكتاب أو أحدهما	١	١
					التقوى	٢	٢
					الطاعة والاتباع	٣	٢
					حسن الإنصات للوحي	٤	١
	١٥	الفلاح	تفلحون	١١	التقوى	١	٥
					العبادة والبر	٢	١
					التوبة	٣	١
					اجتناب الكبائر	٤	١
					ذكر الله والاعتراف بنعمه	٥	٣
المجموع				٩٥			٩٥

من خلال الجدول السابق، يتضح ما يلي:

. وردت هذه الغايات (٩٥) مرة في القرآن الكريم، بمعدل (٣٩) مرة للغايات البنائية، و (٣٩) مرة أيضا للغايات الوسطى، و(١٧) مرة للغايات الكبرى.

. تكررت الغايات البنائية، (٣٩) مرة، منها (٣٠) مرة للغايات التأسيسية التنموية، و(٩) مرات للغايات التقويمية العلاجية، في إشارة إلى أن التأسيس التربوي ينبغي أن يكون الاهتمام به أكثر من النقد والتقويم، وأن تنمية القدرات وتعزيزها مرحلة سابقة على التقويم.

. يلاحظ اهتمام القرآن الكريم بالغايات العقلية (التفكّر، والتعقّل، والتذكّر، والتفقّه) القائمة على التحرر من التقليد الأعمى للآخرين، وتوظيف العقل في وظيفته التي خلقه الله من أجلها وهي التدبر والنظر والتأمل ومحاولة الوصول إلى الحقائق، وفيه تربية للنفس على الثقة بالقدرات التي أودعها الله فيها، وأنه خلقها بوسائل تستطيع من خلالها البحث والوصول إلى الحقيقة

دون توكيل آخرين بهذه المهمة والانقياد الأعمى خلفهم، مما يدحض أيضا مقولة أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، وترسيخ فكرة أن الإنسان يعيش ليطوّر ويجدد ويفكر ويكتشف ويبحث وأن عليه التوصل إلى ما لم يتوصل إليه آخرون، طالما يسير وفق المنهج الذي وضعه الله له.

. جاءت الغايات التربوية بصيغة الفعل المضارع، وهو الذي يفيد التجدد والاستمرار، مما يشير إلى أن هذه الغايات غايات متجددة لا تتوقف على زمن أو عُمْر أو مكان أو موقف معين، وإنما هي مرتبطة بحياة الإنسان كلها مهما اختلفت المواقف والأحداث والأزمان.

. تفاوتت هذه الغايات بحسب عدد ورودها، ويمكن ترتيبها بحسب عدد الورود كالتالي: التذكر، والشكر، والتقوى، والفلاح، والهدى، والتعقّل، ونوال الرحمة، وتصحيح المسار، والتفكّر، والتضرع، والإيمان بلقاء الله، والتفقّه، والانتهاء (الكف)، والحذَر، والإسلام.

. لكل غاية من هذه الغايات مجموعة من الأساليب التي تسهم في تحقيقها، وهناك أساليب مشتركة بين أكثر من غاية، وأساليب مختصة بتحقيق بعض الغايات، ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول التالي:

م	الأسلوب	الغايات البنائية						الغايات الوسطى						الغايات النهائية		إجمالي	الغايات المشتركة
		تنموية				تقويمية											
		التفكر	التعقل	التذكر	التفقه	الانتهاء (الكف)	التضرع	الإيمان بلقاء الله	التقوى	الهدى	الحذر	الشكر	الإسلام	تصحيح المسار	نوال الرحمة	الفلاح	
١	توضيح الآيات (تبيين . تصريف . تفصيل . توصيل . تجريب)	٢	٤	٣	١	٢			١	٢				١			٨
																٦	١

٢	الثواب والعقاب أو أحدهما				٢		٣	٢		١							٨	٤
٣	الإنذار والوعيد من أهل العلم				١					١	١	١					٤	٤
٤	وجود معلم وكتاب أو أحدهما	١									٢					١	٤	٣
٥	توافر محتوى يتسم بـ (البصيرة . التمام - الهدى . الرحمة . التيسير باللغة الأم . الإحكام . تنوع الأساليب				٢					٢					١		٥	٣

	)																
٦	الوصية		١	٢						١						٤	٣
٧	التقوى												٢	٥		٧	٢
٨	ضرب الأمثال	١		٣												٤	٢
٩	العبادة والبر									٢				١		٣	٢
١٠	الطاعة والاتباع								١				٢			٣	٢
١١	الوعظ			١						١						٢	٢
١٢	قص القصص	١														١	١
١٣	تعدد الطرائق (السبل)								٣							٣	١
١٤	التعليم باللغة الأم ذات الثراء اللغوي		٢													٢	١
١٥	استثارة العقل بحقائق علمية جديدة مرتبطة		١													١	١

	باهتماماته																	
١٦	سوق الحجج والأدلة				٢												٢	١
١٧	علاج السبب لا العرض						١										١	١
١٨	الإيمان بالله والاستجابة له								١								١	١
١٩	التوبة (الرجوع)															١	١	١
٢٠	اجتناب الكبائر															١	١	١
٢١	ذكر الله ونعمه															٣	٣	١
٢٢	حسن الإنصات للوحي														١		١	١
٢٣	ارتباط المحتوى بالأهداف							١									١	١

٢٤	العطاء والدعم الهادف							١٤								١٤	١
٢٥	التمسك بالمنهج والعمل به بجد ونشاط						٢									٢	١
٢٦	الابتلاء بالحسنات والسيئات (الترغيب والترهيب)					١										١	١

من خلال الجدول السابق يمكن استنتاج ما يلي:

. بلغت هذه الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في تحقيق الـ (١٥) غاية تربوية؛ ستّةً وعشرين أسلوبًا، منها أساليب مشتركة يمكن من خلالها تحقيق أكثر من غاية، ومنها أساليب مختصة بغاية من الغايات.

. تمثلت الأساليب المشتركة في أحد عشر أسلوبًا، هي: وجود معلم وكتاب أو أحدهما . وجود محتوى يتسم بـ (البصيرة . التمام - الهدى . الرحمة . التيسير باللغة الأم . تنوع الأساليب) . توضيح الآيات (تبيين . تصريف . تفصيل . توصيل . تجريب) . الإنذار والوعيد . الثواب والعقاب . الوعظ . الوصية . ضرب الأمثال . التقوى . الطاعة والاتباع . العبادة والبر.

. أكثر الأساليب المشتركة في تحقيق الغايات، هو أسلوب (توضيح الآيات بتبيينها وتفصيلها، وتصريفها وتوصيلها وتجريبها)، ويقصد بالتبيين: الشرح والتفسير، وبالتفصيل: الشرح والتفسير المفصل بالأحكام والدلائل، ويقصد بالتصريف: التنويع في أساليب عرض المحتوى، ويقصد

بالتوصيل: التتابع والتكرار، ويقصد بالتجريب: التجربة العملية المشاهدة بالحواس، إذ جاء ست عشرة مرة كأسلوب مشترك مسهم في تحقيق (٨) غايات تربوية، هي: التذكر، والتفقه، والتعقل، والتفكر، وتصحيح المسار، والتقوى، والهدى، والإيمان بلقاء الله، مما يشير إلى أهمية التعلم والتعليم القائم على التفاعل في وجود معلّم يوضح ويفصل المنهج وينوّع أساليبه مما يسهم في تحقيق عدد كبير من الغايات التربوية.

. يأتي في المرتبة التالية عدديًا من الأساليب المشتركة؛ أسلوبا الإنذار والوعيد، والثواب والعقاب، وكل منهما مشترك بين (٤) غايات، فالإنذار والوعيد أسلوب مشترك في تحقيق غايات: التذكر، والتقوى، والهدى، والحذر، بينما جاء الثواب والعقاب أو أحدهما مشتركا في تحقيق غايات: التذكر، وتصحيح المسار، والتضرع، والتقوى.

. من أكثر الأساليب اشتراكًا بين أكثر من غاية أيضًا، ويأتي في المرتبة الثالثة عدديًّا: أسلوبا: وجود معلم وكتاب أو أحدهما، ووجود محتوى يتسم بـ (البصيرة . التمام . الهدى . الرحمة . التيسير باللغة الأم . تنوع الأساليب)، إذ جاء كل منهما مشتركا في تحقيق ثلاث غايات، فالأول جاء مشتركا لتحقيق غايات: التفكر، والهدى، ونوال الرحمة، والثاني جاء مشتركًا لتحقيق غايات: التذكر، والتقوى، والإيمان بلقاء الله، مما يشير إلى أن المعلّم هو الفاعل الأول في هداية الناس إلى الحق، والمساعد في حصول البشرية على رحمة الله، والمحفز لعقلية طلابه على التفكّر وإعمال العقل.

. التقوى، أسلوب وغاية في نفس الوقت، فقد جاءت غاية، يسهم في تحقيقها أحد عشر أسلوبًا، وقد جاءت أسلوبًا سبع مرّات، يسهم في تحقيق غايتي (الفلاح) و (نوال الرحمة)

المحور الثاني: الغايات التربوية البنائية وأساليب تحقيقها:

يقصد بالغايات التربوية البنائية؛ تلك الأهداف العامة التي تسهم في بناء الشخصية المسلمة السوية، وهي عبارة عن أساليب تنموية تسهم في تنمية القدرات العقلية والمعرفية، وهي: (التفكر . التعقّل . التفقه . التذكر)، وأساليب تقويمية تسهم في علاج بعض السلوكيات الخاطئة وتهذيب النفس، وهي: (تعديل المسار . الانتهاء أو الكف . التضرّع)، ففي مسار التربية ينبغي أن يكون الاهتمام كبيرًا بتنمية القدرات والمهارات، وتقويم المسار، وهذه الغايات البنائية السبع تسهم مع غيرها في تحقيق غايات وسطى، تتمثل في (التقوى . الهداية . الحذر . الشكر . الإسلام . الإيمان بلقاء الله)، ومن خلال هذه الغايات وغيرها يمكن أن تتحقق الغايات النهائية والمتمثلة في (نوال الرحمة . الفلاح).

(١)الغايات البنائية التنموية:

وتتمثل هذه الغايات البنائية التنموية في أربع غايات، هي: التفكر، والتعقل، والتفقه، والتذكر، وبين كل منها تشابه واختلاف، يشير إلى التكامل والترابط، وهذا ما سيتضح بعد عرض مفهوم كل غاية من هذه الغايات والأساليب التي تسهم في تحقيقها.

أولا: غاية التفكر:

من الغايات البنائية التنموية غاية (التفكر)، جاء في لسان العرب، أن الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الْخَاطِرِ فِي الشَّيْءِ؛ والتَّفَكُّر: اسْمُ التَّفْكِير(ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج٥، ص٦٥) وقال الجوهري: التَفَكّر: التأملُ. (الجوهري، ١٩٨٧، ج٢، ص٧٨٣)، وفي التعريفات: التفكر: تصرف القلب في معاني الأشياء؛ لدرك المطلوب (الجرجاني، ١٩٨٣، ص٦٣)، وعند آخرين: التفكُّر: جولان الْقُوَّة المفكرة بَين الخواطر بِحَسب نظر الْعقل (السيوطي، ٢٠٠٤، ص٢٠١) ويُقَالُ تَفَكَّرَ إِذَا رَدَّدَ قَلْبَهُ مُعْتَبِرًا (الرازي، ١٩٧٩، ج٤، ص٤٤٦) فالْفِكْرُ بِالْكَسْرِ تَرَدُّدُ الْقَلْبِ بِالنَّظَرِ وَالتَّدبُّرِ لِطَلَبِ الْمَعَانِي، وَيُقَالُ: تَرْتِيبُ أُمُورٍ فِي الذِّهْنِ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى مَطْلُوبٍ يَكُونُ عِلْمًا أَوْ ظَنًّا. (الحموي، د.ت، ج٢، ص٤٧٩)

والتفكر وسيلة الحصول على المعلومات، وعملية خاصة بالإنسان دون الحيوان، ويرتبط بما له صورة في القلب، ففي التفاسير: "التَّفَكُّرِ مَبْدَأَ الْعِلْمِ وَطَرِيقَ الْحَقِّ، وَلِذَلِكَ حَثَّ اللهُ عَلَيْهِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، وَبَيَّنَ أَنَّ الْآيَاتِ وَالدَّلَائِلَ إِنَّمَا تُسَاقُ إِلَى الْمُتَفَكِّرِينَ؛ لأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَعْقِلُونَهَا وَيَنْتَفِعُونَ بِهَا" (رضا، ١٩٩٠، ج٩، ص ٣٤٢، ٣٤٣)، وفي المعاجم اللغوية: "التفكّر معناه طلب الفكر، وهو يد النفس التي تنال بها المعلومات كما تنال بيد الجسم المحسوسات، وقال الراغب: جريان القوة المطرقة من العلم إلى المعلوم بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، ولهذا قال عليه السلام "تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله" لتنزهه عن الوصف بصورة {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ}، {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ} (المناوي، ١٩٩٠، ص١٠٤).

وتشير معظم التعريفات أيضا إلى أن الفكر ينطلق من أمور معلومة ليصل من خلالها إلى حقائق مجهولة، أي أنه يرتبط بالبحث للوصول إلى جديد، فالفكر: ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول، والفكر: حركة النفس من المطالب إلى الأوائل، والرجوع منها إليها(المناوي، ١٩٩٠، ص٢٦٣)، وهو إِعْمَال الْعقل فِي مشكلة للتوصل إِلَى حلهَا.. وإِعْمَال الْعقل فِي الْمَعْلُوم للوصول إِلَى معرفَة مَجْهُول (مصطفى، وآخرون، د.ت، ج٢، ص٦٩٨)،

وتفكَّر في الطَّبيعة: تأمّل، أعمل العقل فيها ليصل إلى نتيجة أو حل، وتفكَّر فيه، تأمّله، أعمل العقل فيه ليصل إلى نتيجة أو حلّ أو قرار (عمر، ٢٠٠٨، ج٣، ص١٧٣٣)، وقيل الفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني وهي فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها (المناوي، ١٩٩٠، ص ٢٦٣)

وعند علماء النفس؛ التفكير عملية أساسية، تتناول العلاقات بين الأشياء أو المعلومات، وتربط الغايات بالوسائل، وبين الظروف الراهنة والمعارف السابقة، هذا التفكير موجه نحو هدف معين، وهذا الهدف عبارة عن حل مشكلة أو عملية أخرى، هذه العملية تنطوي على الإدراك، والتذكر، والتخيل، والمحاكمات والاستنتاجات (شرفاوي، ٢٠١٨، ص١١٩)

والتفكر هو الفارق بين التحضّر والبدائية، وهو أساس من أسس بناء الحضارات وتقدم المجتمعات في العلوم والأعمال، دينية كانت أم دنيوية، ففي تفسير المنار: "وَقَدْ قَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْغَرْبِ: إِنَّ الْفَارِقَ الْحَقِيقِيَّ بَيْنَ الْإِنْسَانِ الْمَدَنِيِّ، وَالْإِنْسَانِ الْوَحْشِيِّ هُوَ التَّفَكُّرُ (انْتَهَى)، فَبِقَدْرِ التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللهِ تَعَالَى الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِهِ، وَآيَاتِهِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ، وَسُنَنِهِ وَحِكَمِهِ فِي الْبَشَرِ وَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، يَكُونُ ارْتِقَاءُ النَّاسِ فِي الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ، مِنْ دِينِيَّةٍ وَدُنْيَوِيَّةٍ" (رضا، ١٩٩٠، ج٩، ص٣٤٣)

ويسهم التفكر في الاستفادة من المواقف وأخذ العبرة منها، وكثيرا ما ينشد سفيان بن عيينة ويقول: إذا المرء كانت له فكرة ... ففى كل شيء له عبرة (الخلوتي، د.ت، ج٩، ص٤٥٣) ولذا قالوا: "تَفَكُّرُ ساعةٍ خيرٌ مِنْ قُنوتِ ليلةٍ"(ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج٢، ص٨٣)،

ومن خلال ما سبق يمكن القول إن:

. الفكر قوة أو ملكة، وأما التفكر فهو استثمار وإعمال تلك القوة والملكة، فليس كل من يملك قوة الفكر متفكر، بل الذي يستخدمها فقط هو ما يطلق عليه (متفكر)

. التفكر أداة من أدوات (التعلّم) فهو أداة الحصول على المعلومات.

. التفكر حالة خاصة بالإنسان دون الحيوان.

. التفكر عملية يشترك فيها العقل مع القلب، فهي حالة عقلية وجدانية.

. التفكر من أسس بناء الحضارات، وسبب من أسباب التقدم والترقي في العلوم والأعمال.

. التفكر عملية هدفها استثمار المعارف للوصول إلى حقائق جديدة مطلوبة، بمعنى أنه لا معنى للتفكر بدون تحقيق هذا الهدف.

. التفكر يرتبط بالاعتبار والاتعاظ، فمن تفكر في شيء استطاع أن يعتبر منه بنفسه.

فالتفكر عملية عقلية وجدانية، خاصة بالإنسان، تعمل على استثمار المعارف والدلائل للوصول إلى حقائق الأمور، بالنظر فيها عقلا وقلبا، والاعتبار بنتائجها؛ لتحقيق التقدم والرقي الحضاري في العلوم والأعمال، دينية كانت أم دنيوية.

وبتتبع الآيات القرآنية التي وردت فيها غاية (التفكر) يتضح أن هذه الغاية لها عدة أساليب يمكن تحقيقها من خلالها، يوضحها الجدول التالي:

جدول (٤) أساليب تحقيق غاية (التفكّر)

م	الأسلوب		ت	الآيات
١	توافر منهج مثير للتفكر بكونه (ذِكْرًا) مع معلم بمواصفات خاصة		١	{... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٣، ٤٤]
٢	توضيح الآيات (تبيين)	بالإجابة عن الأسئلة	١	{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة: ٢١٩]
		بتقريب المعقول من المحسوس	١	{أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة: ٢٦٦]
٣	قص القصص		١	{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [الأعراف: ١٧٦]
٤	ضرب الأمثال		١	{لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [الحشر: ٢١]
المجموع			٥	

يتضح من الجدول السابق أن للتفكر أربعة أساليب تسهم في تحقيقه، هي: توافر منهج مثير للتفكر بكونه (ذِكْرًا) مع معلّم بمواصفات خاصة، وتبيين الآيات، وقص القصص، وضرب الأمثال، وفي كل أسلوب من هذه الأساليب مضامين وتطبيقات تربوية.

الأسلوب الأول: توافر منهج مثير للتفكر بكونه (ذِكْرًا) مع معلم بمواصفات خاصة: يأتي الأسلوب الأول لتحقيق غاية (التفكر) وهو توافر منهج مثير للتفكر، بكونه (ذِكْرًا) أي فيه موعظة وتنبيه للغافلين، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٣، ٤٤] والذكر، هو القرآن (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٤، ص٥٧٤)، وقيل للكتاب الذكر، لأنه موعظة وتنبيه للغافلين ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ يعنى ما نزل الله إليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا(الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٦٠٨)، فالتفكر يتطلب منهجًا كالذكر بمواصفات تثير اهتمام المتعلمين وتجعلهم في حالة نشاط عقلي مستمر.

ولا يكفي توافر المنهج، بل يتطلب الأمر أيضا في نفس الآية وجود (معلّم) بمواصفات خاصة، ليبين للمتعلمين المنهج على النحو الذي أراده واضع المنهج، فيكون بذلك المعلم مع المحتوى سببًا في تفكر المتعلم في المحتوى، والْمُرَادُ بِالتَّبْيِينِ عَلَى هَذَا تَبْيِينُ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمَعَانِي (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٤، ص١٦٤) وتعريفهم ما أنزل إليهم (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٧، ص٢١١)، ولذا يمكن استنباط ما يلي:

- يحتاج المحتوى إلى معلم يوضحه ويبينه، فلا تربية محققة لأهدافها بدون معلم يوضح المحتوى ويبينه، يقول ابن عاشور في تفسير الآية: "أَنْ يُبَيِّنَهُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَحْصُلُ فَوَائِدُ الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ [سُورَة آل عمرَان: ١٨٧] (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٤، ص١٦٤) فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبَيِّنٌ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُرَادَهُ مِمَّا أَجْمَلَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَحْكَامِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُفَصِّلْهُ (القرطبي، ١٩٦٤، ج١٠، ص١٠٩)

- يشترط في المعلم أن يكون متمكنًا من تخصصه العلمي، حريصًا على تعليمه للمتعلمين، ومتبعًا لهذا المحتوى ومؤمنًا به ومطبقًا له، ليكون قدوة لمتبعيه بأقواله وأفعاله، وبذا يستطيع التأثير وتنمية التفكر، فعند ابن كثير والقرطبي: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزلَ إِلَيْهِمْ} مِنْ رَبِّهِمْ، أَيْ: لِعِلْمِكَ بِمَعْنَى مَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ، وَحِرْصِكَ عَلَيْهِ، وَاتِّبَاعِكَ لَهُ، وَلِعِلْمِنَا بِأَنَّكَ أَفْضَلُ الْخَلَائِقِ وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، فَتُفَصِّلَ لَهُمْ مَا أُجْمِلَ، وَتُبَيِّنَ لَهُمْ مَا أُشْكِلَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ بِقَوْلِكَ وَفِعْلِكَ(ابن كثير، ١٩٩٩، ج٤، ص٥٧٤) (القرطبي، ١٩٦٤، ج١٠، ص١٠٩)،

. التبيين ليس مجرد قراءة للنص والتصريح به، بل يشمل الشرح والتوضيح باستخدام أساليب القياس والاستنباط، قال الألوسي: "التبيين أعم من التصريح بالمقصود ومن الإرشاد إلى ما يدل عليه، ويدخل فيه القياس وإشارة النص ودلالته وما يستنبط منه من العقائد والحقائق والأسرار، ولعل قوله عز وجل: "وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" إشارة إلى ذلك (الألوسي، ١٤١٥هـ، ج٧، ص٣٨٩)

. أن دور المعلم ليس توضيح كل ما جاء في المحتوى، وإلا لما كان للتفكر محل في التربية، وإنما مهمته توضيح الغامض وتفصيل المجمل الذي لا يستطيعه المتعلم بمفرده، ويترك للمتعلم ما يستطيع التفكر فيه بنفسه، قال الألوسي: "إن المراد بهذا التبيين تفسير المجمل وشرح ما أشكل، إذا هما المحتاجان للتبيين، وأما النص والظاهر فلا يحتاجان إليه"(الألوسي، ١٤١٥هـ، ج٧، ص٣٨٩)

. إن تربية المتعلم على التفكر، تجعله يخضع ممارسته للمراجعة المستمرة مما يسهم في تقويم ذاته بنفسه، كما تربيه على تقبل النقد من الآخرين والتفكر فيه للاستفادة منه، إضافة إلى إتاحة الفرصة للتعبير عن الرأي وتنمية الثقة في النفس من خلال الإحساس بدوره الفاعل في العملية التعليمية بصفة خاصة وفي المجتمع الذي يعيش فيه بصفة عامة.

. التفكر غاية بنائية تترتب عليها غايات أخرى كالهداية، فكأن التفكر وسيلة من وسائل تحقيق الهداية.

يتضح مما سبق أن الأسلوب الأول من أساليب تحقيق غاية (التفكر) يتمثل في وجود محتوى مثير للتفكر بكون (ذكرا) مع معلم يشترط فيه أن يكون معداّ إعدادا جيدا ليكون متمكنًا من تخصصه العلمي، حريصًا على تعليمه للمتعلمين، ومتبعًا لهذا المحتوى ومؤمنًا به ومطبقًا له، ليكون قدوة لمتبعيه بأقواله وأفعاله، وبهذه المواصفات المهنية للمعلم يمكنه أن يقوم بـ (تبيين) المحتوى بالشرح والتوضيح باستخدام أساليب القياس والاستنباط، لكنه لا يوضح كل ما جاء في المحتوى، بل يقتصر توضيحه على ما لا يستطيع المتعلم التوصل إليه بمفرده، ثم يترك للمتعلم فرصة (التفكّر) بنفسه، فكأن دور المعلم الرئيس يتمثل في أزالة المعوقات التي قد تحول بين (المتعلم) وعملية (التفكر)، كما يوضحه الاسلوب الثاني بتفصيل أكبر.

الأسلوب الثاني: أسلوب تتبيين الآيات: ومن أساليب تحقيق التفكر؛ تبيين الآيات، وَالتَّبْيِينُ: إِيضَاحُ الْمَعْنَى. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٤، ص١٦٣)، وقد ورد هذا الأسلوب في صورتين:

أولاهما: الإجابة عن التساؤلات الشائعة التي تتردد في أذهان المتعلمين وعلى ألسنتهم بصورة مجملة تدعوهم إلى التفكر في تفصيلها، وإجراء مقارنات بين بعض الأمور لاختيار الأفضل منها، ويبدو ذلك في قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة: ٢١٩]

فمعنى "كذلك يبين الله لكم الآيات: يبين الله لكم الآيات فيعرفكم أن الخمر والميسر فيهما منافع في الدنيا ومضار في الآخرة، فإذا تفكرتم في أحوال الدنيا والآخرة علمتم أنه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا، ويعرفكم أن إنفاق المال في وجوه الخير لأجل الآخرة وإمساكه لأجل الدنيا فتتفكرون في أمر الدنيا والآخرة وتعلمون أنه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج٦، ص٤٠٣)، فالتفكر هنا يؤدي إلى (العلم) الذي بدوره يضع الإنسان في موقف (إرادي) يستطيع من خلاله الترجيح فيه بين اختيار الآخرة على الدنيا أو العكس، لأنه ليس كل من (يعلم) الخير يفعله، بل هناك أناس كثيرون يعلمون الخير ولكن (إرادتهم) توجههم إلى فعل الشر، وفي تفسيري الكشاف وابن كثير نفس المعنى "لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم ... وتتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع، ويجوز أن يكون: لتتفكروا في عقاب الإثم في الآخرة والنفع في الدنيا، حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج١، ص٢٦٣) (ابن كثير، ١٩٩٩، ج١، ص٥٨٠، ٥٨١)

ويقول صاحب المنار (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) مَعْنَاهُ: مِثْلُ هَذَا النَّحْوِ وَعَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِنَ الْبَيَانِ قَدْ قَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ بِأَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِهِ فِي الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمَصَالِحِكُمْ وَمَنَافِعِكُمْ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُوَجِّهَ عُقُولَكُمْ إِلَى مَا فِي الْأَشْيَاءِ مِنَ الْمَضَارِّ وَالْمَنَافِعِ (لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) فَيَظْهَرُ لَكُمُ الضَّارُّ مِنْهَا أَوِ الرَّاجِحُ ضَرَرُهُ فَتَعْلَمُوا أَنَّهُ جَدِيرٌ بِالتَّرْكِ فَتَتْرُكُوهُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَاقْتِنَاعٍ، بِأَنَّكُمْ فَعَلْتُمْ مَا فِيهِ الْمُصْلَحَةُ، كَمَا يَظْهَرُ لَكُمُ النَّافِعُ فَتَطْلُبُوهُ، فَمِنْ رَحْمَتِهِ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُعْنِتَكُمْ وَيُكَلِّفَكُمْ مَا لَا تَعْقِلُونَ لَهُ فَائِدَةً إِرْغَامًا لِإِرَادَتِكُمْ وَعَقْلِكُمْ، بَلْ أَرَادَ بِكُمُ الْيُسْرَ فَعَلَّمَكُمْ حُكْمَ الْأَحْكَامِ وَأَسْرَارَهَا، وَهَدَاكُمْ إِلَى اسْتِعْمَالِ عُقُولِكُمْ فِيهَا، لِتَرْتَقُوا بِهِدَايَتِهِ عُقُولًا وَأَرْوَاحًا...فَاللهُ تَعَالَى يُبَيِّنُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ الْإِسْلَامَ هَادٍ وَمُرْشِدٌ إِلَى تَوْسِيعِ دَائِرَةِ الْفِكْرِ وَاسْتِعْمَالِ الْعَقْلِ فِي مَصَالِحِ الدَّارَيْنِ(رضا، ١٩٩٠، ج٢، ص٢٦٩، ٢٧٠)

ومن خلال ما سبق من تفاسير للآية يمكن القول إنها تشير إلى أن غاية (التفكّر) يمكن تحقيقها من خلال تبيين الإيات، ومن صور هذا التبيين الإجابة على الأسئلة بصورة مجملة، تترك المتعلم بعدها في حالة تستدعي منه تفكّرا ليقارن ويوازن بين أمرين ثم يختار أنسبهما له، فالله تعالى في الآية أمر رسوله أن يجيب عن سؤال حكم الخمر والميسر، بأن تكون الإجابة مجملة بقوله (فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما) ثم تركت لهم الفرصة للتفكر في أمر (المنافع) المرتبط بالدنيا، وأمر (الإثم) المرتبط بالجزاء في الآخرة، لكي يقرروا ويختاروا أحد الأمرين، ومن المضامين التربوية في هذا الأسلوب:

- أن تبيين الآيات والدلائل والأحكام من جانب المعلم لا يكون تبيينا كاملا يلغي شخصية المتعلم ويعوّده السلبية، بل على المعلم أن يشرك المتعلم في اكتشاف واستنباط الأمور التي يستطيعها مستواه العقلي، وعرض مقارنات بينها لإبراز الإيجابيات والسلبيات، وهذا مما ينشط العقل ويثري التعلم النشط، ويعزز قدرات التفكر والتأمل والتدبر وغيرها من العمليات المعرفية والعقلية، ويتفق هذا مع الأسلوب الأول من أساليب تحقيق غاية التفكر، وهو قيام المعلم بالتبيين الجزئي بصورة تحتاج إلى تفكر وتدبر من المتعلم؛ ليشارك الأخير مع المعلم في العملية التعليمية.

- أن في ترك الفرصة للمتعلم أن يتخذ قراره بنفسه بعد بيان الأمر له بإيجابياته وسلبياته، يحمل معاني احترام المتعلم وعقله الذي كرمه الله به، وأن التعليم لا يهدف إلى إكراه المتعلم على تعديل سلوكه، بل يعطيه الإرادة والبصيرة والقدرة على تحديد غايته، ثم يترك له الحرية ليتخذ قراره على هدى وبصيرة.

- ليس من المقبول تربويًّا أن يحاسَب المتعلم على قرار قبل إعطائه الفرصة لتدبر إيجابياته وسلبياته، و(تبيين) ما يتصل بهذا القرار وما يترتب عليه.

الصورة الثانية: تقريب المعقول بالمحسوس من خلال ضرب الأمثال: وأما الصورة الثانية من صور تبيين الآيات كأسلوب من أساليب تحقيق غاية (التفكر)، فهي تقريب المعقول بالمحسوس من خلال ضرب الأمثال، وذلك في قوله تعالى: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة: ٢٦٦]

ففي الآية ضرب الله مثلا لهم بهدف أن (يتفكروا) فيه،: فيعْتَبِرُونَ وَيفْهَمُونَ الْأَمْثَالَ وَالْمَعَانِي، وَيَنْزِلُونَهَا عَلَى الْمُرَادِ مِنْهَا (ابن كثير، ١٩٩٩، ج١، ص٦٩٦) ويقول ابن عاشور: "وَقَوْلُهُ:

كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ تَذْبِيلٌ، أَيْ كَهَذَا الْبَيَانِ الَّذِي فِيهِ تَقْرِيبُ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ بَيَّنَ اللَّهُ نُصْحًا لَكُمْ، رَجَاءَ تَفَكُّرِكُمْ فِي الْعَوَاقِبِ حَتَّى لَا تَكُونُوا عَلَى غَفْلَةٍ"(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٣، ص٥٥)، ويقول رضا: "لِذَلِكَ أَرْشَدَنَا – تَعَالَى – بَعْدَ الْمَثَلِ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي عَاقِبَةِ هَذَا الْعَمَلِ، فَقَالَ: كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ أَيْ إِنَّهُ – تَعَالَى – يُبَيِّنُ لَكُمُ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى حَقَائِقِ الْأُمُورِ وَغَايَاتِهَا وَفَوَائِدِهَا وَغَوَائِلِهَا، مِثْلَ هَذَا الْبَيَانِ الْبَارِزِ فِي أَبْهَى مَعَارِضِ التَّمْثِيلِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الْعَوَاقِبِ فَتَضَعُونَ نَفَقَاتِكُمْ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَرْضَاهَا مَعَ الْإِخْلَاصِ وَقَصْدِ تَثْبِيتِ النَّفْسِ حَتَّى لَا يَسْتَحِقَّهَا الطَّيْشُ وَالْإِعْجَابُ، فَيَدْفَعُهَا إِلَى الْمَنِّ وَالْأَذَى"(رضا، ١٩٩٠، ج٣، ص٥٩، ٦٠)

ومن خلال ما سبق يمكن القول إن تبيين الآيات كأحد أساليب تحقيق غاية (التفكر) له صورتان، وإحدى هاتين الصورتين، تقريب المعقول من المحسوس بضرب الأمثال، ومن الدلالات التربوية لهذه الصورة ما يلي:

. أن تقريب المعقول من المحسوس من الأساليب التي ينبغي أن يستخدمها المربون من أجل تبيين وتوضيح المحتوى، وهذا مما يعزز مهارة (التفكر)

أن ضرب الأمثال من الأساليب التي تنشط المتعلم وتؤثر إيجابًا في تعزيز قدراته الذهنية والواجدانية، باعتبار أن التفكر حالة ذهنية وجدانية.

ـ ما زالت الآيات القرآنية تعلي من قيمة العقل البشري، وتحث الإنسان على إعمال عقله، ليصل إلى القرار السليم وفق المقدمات التي أوضحها له القرآن وبينها له بأساليب مختلفة ومتنوعة ما بين الإجابة عن تساؤلات مهمة وتقريب المعقول من المحسوس بتصوير رائع، في إشارة إلى تكريم هذا العقل والإعلاء من شأنه وحث المعلمين على أن يسهموا في تنمية قدرات هذا العقل، وأن المعلم الذي يقدم المعلومة جاهزة مسلمًا بها قد أهمل تنمية قدرات المتعلم وأساء إليه، كما أن المعلم الذي لم يترك فرصة للمتعلم لاتخاذ قراره قد أساء إليه أيضًا بإكراهه على أمر ما دون أن يبين له إيجابياته أو سلبياته.

الأسلوب الثالث: قص القصص: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [الأعراف: ١٧٦]

ومن الأساليب التي تحقق غاية (التفكر)، قص القصص، ولكنه القصص الهادف الذي يمكن الاستفادة منه وأخذ العظة والعبرة، ولذا أمر الله تعالى نبيه بقص قصص الأمم السابقة على

قومه، يقول الطبري: "أما قوله: (فاقصص القصص): فاقصص، يا محمد، هذا القصص، الذي اقتصصته عليك من نبأ الذي آتيناه آياتنا، وأخبارَ الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة، واقتصَصْت عليك نبأهم ونبأ أشباههم، وما حلّ بهم من عقوبتنا، ونزل بهم حين كذبوا رسلَنا من نقمتنا، على قومك من قريش، ومَنْ قِبَلَك من يهود بني إسرائيل"(الطبري، ٢٠٠٠، ج١٣، ص٢٧٤)

والتفكر المقصود كما دلت أساليبه السابقة غاية بنائية تحقق غايات أخرى أكبر منها، ومنها: كالاعتبار والإنابة والطاعة، والتحقق من بعض الأمور كعلم المعلم وصدقه، يقول الطبري: "ليتفكروا في ذلك، فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا، لئلا يحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من النّقم والمثلات، ويتدبَّره اليهود من بني إسرائيل، فيعلموا حقيقةَ أمرك وصحَّة نبوّتك، إذ كان نبأ "الذي آتيناه آياتنا" من خفيّ علومهم، ومكنون أخبارهم، لا يعلمه إلا أحبارُهم، ومن قرأ الكُتب ودرسها منهم، وفي علمك بذلك . وأنت أميٌّ لا تكتب، ولا تقرأ، ولا تدرس الكتب، ولم تجالس أهل العلم . الحُجَّة البينة لك عليهم بأنك لله رسولا، وأنك لم تعلم ما علِمت من ذلك، وحالُك الحال التي أنت بها، إلا بوحي من السماء.(الطبري، ٢٠٠٠، ج١٣، ص٢٧٥)

إن استخدام أسلوب القصة كأسلوب تربوي، له تأثير في نفوس المتعلم أقوى من عرض المادة العلمية مجردة أو بأدلتها فقط، لما في استحضار مشاهد القصة وأحداثها من تأثير في تنشيط عمليات العقل، وإيقاظ الوجدان، ليتحد مع الأحداث فيعيشها، وهذا مما يؤثر في نفس المتلقي فيقاوم الملل وتشتت الانتباه، ويظل مستمعا منتبها للقصة لشغفه بمعرفة أحداثها ونهايتها، خاصة إذا كانت معروضة بأسلوب يجذب الانتباه، فتؤثر في العقل والقلب معا، يقول ابن عاشور: "إِنَّ فِي الْقَصَصِ تَفَكُّرًا وَمَوْعِظَةً، فَيُرْجَى مِنْهُ تَفَكُّرُهُمْ وَمَوْعِظَتُهُمْ، لِأَنَّ لِلْأَمْثَالِ وَاسْتِحْضَارِ النَّظَائِرِ شَأْنًا عَظِيمًا فِي اهْتِدَاءِ النُّفُوسِ بِهَا وَتَقْرِيبِ الْأَحْوَالِ الْخَفِيَّةِ إِلَى النُّفُوسِ الذَّاهِلَةِ أَوِ الْمُتَغَافِلَةِ، لِمَا فِي التَّنْظِيرِ بِالْقِصَّةِ الْمَخْصُوصَةِ مِنْ تَذَكُّرِ مُشَاهَدَةِ الْحَالَةِ بِالْحَوَاسِّ، بِخِلَافِ التَّذْكِيرِ الْمُجَرَّدِ عَنِ التَّنْظِيرِ بِالشَّيْءِ المحسوس"(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٩، ص١٧٩)

ويزداد تأثير القصة إذا اشتملت على ضرب الأمثال، يقول رضا: "وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمِ شَأْنِ ضَرَبِ الْأَمْثَالِ فِي تَأْثِيرِ الْكَلَامِ، وَكَوْنِهِ أَقْوَى مِنْ سُوقِ الدَّلَائِلِ وَالْحُجَجِ الْمُجَرَّدَةِ"(رضا، ١٩٩٠، ج٩، ص٣٤٢، ٣٤٣)

ومن هنا يتضح أن قص القصص المثير للتفكر، إنما يكون لأخذ العبرة والاستفادة من أخطاء الآخرين مما يؤدي إلى تفادي الوقوع فيها، وهو دليل على تمكّن المعلم من المادة العلمية، وأسلوبًا من أساليبه في تنمية قدرة العقل على (التفكر) في القصة للربط بين الماضي والحاضر، والتقويم الذاتي بناء على معطيات القصة، والاستفادة من تجارب الآخرين تحقيقا لمبدأ تراكمية الخبرة والمعرفة، يقول الزمخشري: "فَاقْصُصِ القصص لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فيحذرون مثل عاقبته، إذ ساروا نحو سيرته، وزاغوا شبه زيغه". (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص١٧٩)، ويقول رضا: "فَاقْصُصْ أَيُّهَا الرَّسُولُ قِصَصَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْمُشَابِهَةِ حَالِهِ لِحَالِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ وَغَايَتِهِ، وَمَعْنَاهُ وَصُورَتِهِ، رَجَاءَ أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِيهِ فَيَحْمِلُهُمْ سُوءُ حَالِهِمْ، وَقُبْحُ مَثَلِهِمْ عَلَى التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ، فَإِذَا هُمْ تَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ تَفَكَّرُوا فِي الْمَخْرَجِ مِنْهُ، وَنَظَرُوا فِي الْآيَاتِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ بِعَيْنِ الْعَقْلِ وَالْبَصِيرَةِ، لَا بِعَيْنِ الْهَوَى وَالْعَدَاوَةِ، وَلَا طَرِيقَ لِهِدَايَتِهِمْ غَيْرُ هَذِهِ(رضا، ١٩٩٠، ج٩، ص٣٤٢)

ولذا فإن من أهم التطبيقات التربوية لهذا الأسلوب:

. اختيار القصص الهادف عند استخدامه كأسلوب تربوي، سواء من قبل الوالدين أو المعلمين أو الدعاة أو وسائل الإعلام.

. حسن عرض القصة بطريقة مشوقة جذابة لضمان تأثيرها والانتباه لها.

ـ إقران القصة ببعض الأساليب التربوية الأخرى كضرب الأمثال، لتكون أكثر تأثيرا بإثارتها لتفكر أكبر وأعمق.

ـ أن يفهم المربون أن قص القصص لا يكون بعرضه فقط، وإنما ليتركوا فرصة للمتعلمين للتفكر والتدبر واستنباط العبر والعظات والنقد والتقويم، وهذا مما يسهم في تعزيز قدرات التفكير الناقد والإبداعي.

الأسلوب الرابع: ضرب الأمثال: ومع وجود معلم مبيّن للمتعلم المحتوى بطريقة معينة، وتبيين الدلائل والأحكام بالإجابة عن التساؤلات الشائعة وتقريب المعقول من المحسوس، وقص القصص، يأتي أسلوب رابع لتحقيق غاية (التفكر)، وهو أسلوب ضرب الأمثال، قال تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [الحشر: ٢١]

وَمعنى ضَرْبُ الْمَثَلِ: سَوْقُهُ...ونَظْمُ تَرْكِيبِهِ الدَّالِّ عَلَى تَشْبِيهِ الْحَالَةِ (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٣، ص٢٢٣، ج٢٨، ص١١٧)، ومعنى يضرب الله للناس الأمثال: يمثِّل الله الأمثال للناس، ويشبّه لهم الأشباهَ (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٦، ص٥٦٧)

وتشير الآية إلى أن الهدف من استخدام أسلوب ضرب الأمثال، دعوة المستمع إلى (التفكر) لا إلى مجرد التسلية والمعرفة فقط، يقول ابن عاشور: " أَرَادَ مِنْهَا أَنْ يَتَفَكَّرُوا، فَإِنْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا بِهَا، فَقَدْ سُجِّلَ عَلَيْهِمْ عِنَادُهُمْ وَمُكَابَرَتُهُمْ" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٨، ص١١٧)، فليست الأمثال في المجال التعليمي لمجرد الاستمتاع بقصتها، أو الإعجاب بلغتها وأسلوبها، أو لمجرد معرفة موردها ومضربها، بل قبل هذا كله من الأهداف؛ هدف أعمق وأكثر تأثيرا وإسهامًا في تعلم فعّال، هو (التفكّر) في المثل، لتنشيط قدرة العقل على التفكر.

ولضرب الأمثال دور كبير في تدريب المتعلم على (التفكر)، إذ تسهم الأمثال في زيادة الإفهام، وتصوير المعاني، يقول الزمخشري: "لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٥٥٣)، ويقول ابن كثير: فَإِنَّ الْمَثَلَ يُقَرِّب الْمَعْنَى إِلَى الْأَذْهَانِ (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٧، ص٩٦)، مما يسهم في تنشيط قدرات المتعلم العقلية ودعوته إلى (التفكر) في المثل، لإدراك وجه التشابه بين مضرب المثل ومورده، فيستنبط منه المفاهيم والمبادئ، ويقارن بينها في عصور مختلفة، ثم يستنبط منها ما يساعده على اتخاذ قراره، وفق تفكّر منظّم.

ومع كل الأساليب المحققة للتفكر تتأكد حقيقة أن التفكر غاية بنائية تسهم في غايات أخرى، كالإنابة والطاعة وتحقيق الأهداف، ففي تفسير الطبري: "(لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) يقول: يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها، فينيبوا، وينقادوا للحق" (الطبري، ٢٠٠٠، ج٢٣، ص٣٠١)، فالتفكر غاية تسهم في تحقيق غايات أكبر، كالهداية والفلاح، وأن الإنسان الذي يقف عند حد التفكر دون توظيفه في تحقيق غايات أكبر، هو لا يدرك ثمرة التفكر، أو لم يتفكر بالشكل الأمثل.

وبعد العرض السابق لأساليب تحقيق غاية (التفكر) يمكن القول إنه يمكن تحقيقها بواسطة توافر محتوى مثير للتفكر بكونه (ذكرًا)، مع معلم مؤمن برسالته، متمكن من تخصصه، مطبقًا للمنهج، قدوة في أقواله وأفعاله، يقدم محتوى مثيرًا للتفكر يشتمل على قص قصص وضرب أمثال، ليقوم المعلم بتبيينه بقدر يسهم في تحقيق غاية تفكر المتعلم، من خلال الإجابة عن

التساؤلات الشائعة، وتقريب المعقول من المحسوس، ويمكن توضيح خصائص هذا المحتوى المثير لعملية (التفكر) من خلال الشكل التالي:

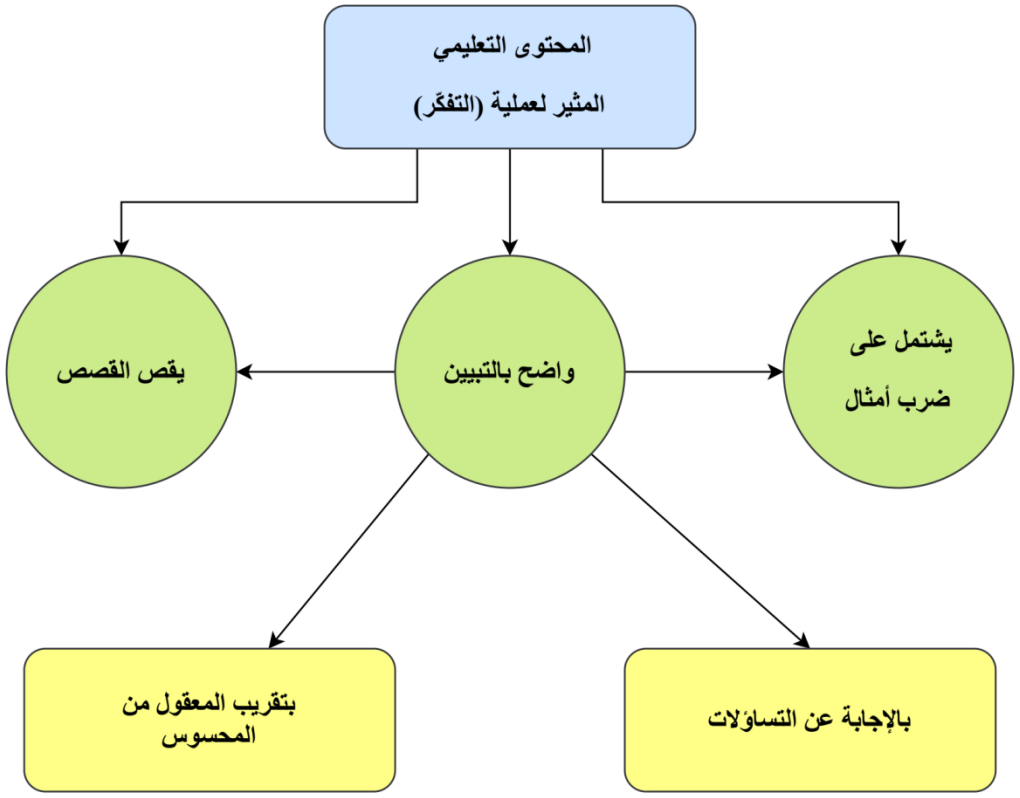

شكل (٢) خصائص المحتوى التعليمي المثير لعملية التفكر

ثانيا: غاية التعقل:

العَقْل يقال للقوّة المتهيّئة لقبول العلم.. وأصل العَقْل: الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعِقَال، وعَقْل الدّواء البطن، وعَقَلَتِ المرأة شعرها، وعَقَلَ لسانه: كفّه (الأصفهاني، ١٤١٢هـ، ص ٥٧٧، ٥٧٨)، والعاقِلُ: الَّذِي يَحْبِس نَفْسَهُ ويَرُدُّها عَنْ هَواها، أُخِذَ مِنْ قَوْلِهِمْ قَدِ اعْتُقِل لِسانُه إِذا حُبِسَ ومُنِع الكلامَ... وسُمِّي العَقْلُ عَقْلًا لأَنه يَعْقِل صاحبَه عَنِ التَّوَرُّط فِي المَهالِك أَي يَحْبِسه (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج١١، ص٤٥٨، ٤٥٩)

وأما التعقل، فيدور معناه حول استخدام ملكة العقل التي منحها الله للإنسان، فهو يعني التدبر والتفهم والتفقه، ففي المعاجم اللغوية، التعقل يعني: التدبر، وتعقلت الشيء: تدبرته (المناوي،

١٩٩٠، ص١٠٢)، وقيل أيضًا: هُوَ إِدْرَاك الشَّيْء مُجَردا عَن الْعَوَارِض الغريبة واللواحق المادية (الكفوي، د.ت، ص٣١٣)

وفي تفسير (ابن كثير، ١٩٩٩، ج١، ص٦٦٠): {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أَيْ: تَفْهَمُونَ وَتَتَدَبَّرُونَ، وفي (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٩، ص٢٢٨) لكي تفقهوا عن الله أمره ونهيه.

والتعقل يقتضي أيضا العمل بما تفكر فيه الإنسان وتأمله، فمن وصل إلى الفكرة ولم يعمل بها لا يعد عاقلا بالمعنى العملي للعقل، ولذا تطلق العامة لفظ (مجنون) على من يخالف عمله ما تم الاتفاق عليه من أفكار، قالَ محمد عبده: "لَيْسَ مَعْنَى الْعَقْلِ أَنْ يُجْعَلَ الْمَعْنَى فِي حَاشِيَةٍ مِنْ حَوَاشِي الدِّمَاغِ، غَيْرَ مُسْتَقِرٍّ فِي الذِّهْنِ، وَلَا مُؤَثِّرٍ فِي النَّفْسِ، بَلْ مَعْنَاهُ أَنْ يَتَدَبَّرَ الشَّيْءَ وَيَتَأَمَّلَهُ حَتَّى تُذْعِنَ نَفْسُهُ لِمَا أُودِعَتْ فِيهِ إِذْعَانًا يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ فِي الْعَمَلِ، فَمَنْ لَمْ يَعْقِلِ الْكَلَامَ بِهَذَا الْمَعْنَى فَهُوَ مَيِّتٌ وَإِنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ حَيٌّ – مَيِّتٌ مِنْ عَالَمِ الْعُقَلَاءِ حَيٌّ بِالْحَيَاةِ الْحَيَوَانِيَّةِ – وَقَدْ فَهِمْنَا هَذِهِ الْأَحْكَامَ وَلَكِنْ مَا عَقَلْنَاهَا، وَلَوْ عَقَلْنَاهَا لَمَا أَهْمَلْنَاهَا" (رضا، ١٩٩٠، ج٢، ص٣٥٩)

فتشير هذه النصوص إلى أن التعقل معناه التدبر والتأمل تدبرا وتأملا يؤثر في الجانب الوجداني تأثيرًا إيجابيًا (إذعان النفس)، مما يترتب عليه تأثير في الجانب السلوكي (أثر في العمل)، فالتعقل وسيلة من وسائل تعزيز الوعي، وتعديل الاتجاهات، وتوجيه السلوك.

وبتتبع الآيات القرآنية المختومة بصيغة الرجاء، يتضح أن غاية (التعقل) يمكن تحقيقها من خلال مجموعة من الأساليب، وفق الجدول الآتي:

جدول (٥) أساليب تحقيق غاية (التعقل)

م	الأسلوب	ت	الآيات
١	توضيح الآيات (تبيين . تجريب قائم على الرؤية والمشاهدة)	٤	{...كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٢٤٢]
			{...كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [النور: ٦١]
			{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الحديد: ١٧]
			{فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٧٣]
٢	التعليم باللغة الأم ذات الثراء اللغوي	٢	{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: ٢]
			{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الزخرف: ٣]
٣	استثارة العقل بحقائق	١	{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا

	علمية جديدة مرتبطة باهتماماته		ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [غافر: ٦٧]
٤	الوصية	١	{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: ١٥١]
المجموع		٨	

من خلال الجدول السابق؛ يتضح أن غاية (التعقل)؛ وردت في ثمان آيات من آيات القرآن الكريم، مشتملة على أربعة أساليب لتحقيقها، هي: توضيح الآيات (٤ مرات)، والتعليم باللغة الأم ذات الثراء اللغوي (مرتان)، وكل من أسلوب (الوصية، وبيان الحقائق المجهولة) مرة واحدة، وفيما يلي عرض لهذه الأساليب:

الأسلوب الأول: توضيح الآيات بـ (التبيين بالوسائل السمعية والبصرية القائمة على الرؤية والمشاهدة): من الأساليب التي وردت في القرآن الكريم محققة غاية التعقّل؛ أسلوب توضيح الآيات، وتكرر هذا الأسلوب مع غاية (التعقل) أربع مرات، منها ثلاثة بأسلوب (تبيين الآيات)، وذلك في قوله تعالى: {...كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [البقرة: ٢٤٢]، و {...كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [النور: ٦١] و{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الحديد: ١٧]، ومرة باستخدام الطريقة التجريبية التي تُدرك من خلال الحواس، وعبر القرآن عنها بقوله (ويريكم آياته) في قوله تعالى: {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٧٣]

والمقصود بالآيات: الدلائل (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢، ص٤٧٥)، ومعنى تبيين الآيات: توضيحها وتفسيرها توضيحًا كافيًا شافيًا بعد الإجمال، ففي (ابن كثير، ١٩٩٩، ج١، ص٦٦٠، ج٦، ص٨٨) بيَّنه وَوَضَّحَهُ وَفَسَّرَهُ وَلَمْ يَتْرُكْهُ مُجْمَلًا فِي وَقْتِ احْتِيَاجِكُمْ إِلَيْهِ، وَقَوْلُهُ: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُحْكَمَةِ وَالشَّرَائِعِ الْمُتْقَنَةِ الْمُبْرَمَةِ، نَبَّه تَعَالَى عَلَى أَنَّهُ يُبَيّن لِعِبَادِهِ الْآيَاتِ بَيَانًا شَافِيًا، لِيَتَدَبَّرُوهَا وَيَتَعَقَّلُوهَا، وفي (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج٢٤، ص٤٢٣) كذلك يبين الله لكم الآيات، أي يفصل الله شرائعه لكم لتفهموا عن الله أمره ونهيه.

ولتبيين الآيات كيفية ومهارات وطرائق، فأما كيفيته، فتتمثل في: ذِكْرَ الْحُكْمُ وَفَائِدَتُهُ وَيَقْرِنُهُ بِذِكْرِ اللهِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي تُعِينُ عَلَى الْعَمَلِ بِهِ، لِيَعُدَّكُمْ بِذَلِكَ لِكَمَالِ الْعَقْلِ فَتَتَحَرَّوُا الِاسْتِفَادَةَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ (رضا، ١٩٩٠، ج٢، ص٣٥٩)

وأما مهاراته فتتمثل في فَصَاحَةِ الْكَلَامِ وَبَلَاغَتِهِ وَوَفْرَةِ مَعَانِيهِ وَتَوْضِيحِهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ حَاصِلٌ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٧، ص٣٩٥) وفي هذا إشارة إلى أن يمتلك المعلم مهارات الفصاحة والبلاغة، والثروة اللغوية التي تجعله قادرا على توضيح المعاني، وأن المحتوى التعليمي ينبغي أن يتسم بالوضوح والفصاحة حتى تتم عملية (التبيين) على الوجه الأكمل.

ومن طرائق تبيين الآيات التي وردت في آيات (غاية التعقل): القياس على أحوال المشابهين، ففي (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٧، ص٣٩٥) "وَمِنْ أَوْضَحِ الْبَيَانِ التَّنْظِيرُ بِأَحْوَالِ الْمُشَابِهِينَ فِي حَالَةِ التَّحْذِيرِ أَوِ التَّحْضِيضِ، كما في قوله تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الحديد: ١٧]"

وتشير الآية أن (التعقّل) عملية، وليس شيئا فطريًّا، فالعقل والقدرة على استخدامه هو الفطري الذي أودعه الله في النفس البشرية، لكن استخدامه من أجل (التعقّل) عملية يمكن تحقيقها من خلال عدة أساليب منها: تبيين الآيات وتوضيحها بالتجريب القائم على استثمار الحواس، يقول الرازي: "إن القوم كانوا عقلاء قبل عرض هذه الآيات عليهم، وإذا كان العقل حاصلا امتنع أن يقال: إني عرضت عليك الآية الفلانية لكي تصير عاقلا، ... والمراد لعلكم تعملون على قضية عقولكم، وأن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص، حتى لا ينكروا البعث" (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج٣، ص٥٥٤)

ويشير هذا الأسلوب أيضًا إلى أن التجريب القائم على استثمار الحواس في تحقيق الغايات التربوية يتضمن عمليات أخرى كالاستنباط والاستنتاج والقياس، ولعل هذا يفهم من قول الخلوتي في تفسير الآية: "أى لكى تكمل عقولكم، وتعلموا أن من قدر على إحياء نفس واحدة؛ قدر على إحياء الأنفس كلها، وتمنعوا نفوسكم من هواها وتطيعوا الله فيما يأمركم به" (الخلوتي، د.ت، ج١، ص١٦٢)

والقياس لا ينحصر في الأدلة والأحكام الشرعية؛ بل في كثير من فنون العلم والمهارات، وسواء كان في مجال الفقه أو في مجال الأمور العامة، فإنه وسيلة للإبداع، وحاجة يحتاج إليها الإنسان، فإن تربية المتعلمين على هذا الجانب، يقوي لديهم ربط وقياس الأمور

المتشابهة بعضها ببعض، إذا وجدت العلة الجامعة بين الفرع والأصل، أو بين المقيس والمقاس عليه (الحازمي، ٢٠٠٢، ص٤٧٩)

كما تشير الآيات أيضًا إلى أن الهدف من استخدام هذا الأسلوب ليس تحقيق غاية معرفية لحظية أو مؤقتة، بل إكساب مهارة يبقى أثرها، وتستخدم في مراحل أخرى زمنية، ومواقف أخرى مشابهة، ففي تفسير المنار: لهذا الأسلوب (التجريب بالحواس) الوارد في آيات تضمنت معنى (وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ): "(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) أَيْ تَفْقَهُونَ أَسْرَارَ الْأَحْكَامِ، وَفَائِدَةَ الْخُضُوعِ لِلشَّرِيعَةِ، فَلَا تَتَوَهَّمُونَ أَنَّ مَا وَقَعَ مُخْتَصٌّ بِهَذِهِ الْوَاقِعَةِ فِي هَذَا الْوَقْتِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَتَلَقَّوْا أَمْرَ اللهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِالْقَبُولِ مِنْ غَيْرِ تَعَنُّتٍ" (رضا، ١٩٩٠، ج١، ص٢٩١)

وينتقد محمد رشيد رضا بعض كتب الفقه، التي لا تتبع أسلوب تبيين الآيات، القائم على بيان فائدة الأحكام الفقهية، وتوظيفها بصورة حياتية تبرز أهميتها في تحقيق المصالح الحياتية، ومزجها بالوعظ والتذكير، وهو يرى أنها إن اتبعت هذا الأسلوب بهذه المنهجية؛ فإن هذا سيسهم في تحقيق غاية (التعقل) ويحرر العقل من (التقليد)، فيقول: "أَيْنَ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ الْمُثْلَى فِي بَيَانِ الْأَحْكَامِ مِنْ طَرِيقَةِ الْكُتُبِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَنَا بِكُتُبِ الْفِقْهِ، وَهِيَ غُفْلٌ فِي الْغَالِبِ مِنْ بَيَانِ فَائِدَةِ الْأَحْكَامِ وَانْطِبَاقِهَا عَلَى مَصَالِحِ الْبَشَرِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَزْجِهَا بِالْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ؟ وَأَيْنَ أَهْلُ التَّقْلِيدِ مِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ؟ هُوَ يَذْكُرُ لَنَا الْأَحْكَامَ بِأُسْلُوبٍ يُعِدُّنَا لِلْعَقْلِ، وَيَجْعَلُنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ وَيَنْهَانَا عَنِ التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى، وَهُمْ يَأْمُرُونَنَا بِأَنْ نَخِرَّ عَلَى كَلَامِهِمْ وَكَلَامِ أَمْثَالِهِمْ صُمًّا وَعُمْيَانًا... وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْعَقْلِ الَّذِي هَدَانَا اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَأَمْثَالِهَا، رُجِيَ لَنَا أَنْ نُحْيِيَ دِينَنَا فَيَكُونُ دِينُ الْعَقْلِ هُوَ مَرْجِعُ الْأُمَمِ أَجْمَعِينَ" (رضا، ١٩٩٠، ج٢، ص٣٥٩)

ومن التطبيقات التربوية لأسلوب تبيين الآيات:

. أن يُتبع هذا الأسلوب في إعداد المناهج والكتب الدراسية، بحيث يكون التركيز على التعليل وبيان الفوائد والتوظيف الحياتي، حتى يكون هذا مسهمًا في تربية العقل على (التعقل والتدبر والفهم)

. الاهتمام في التربية بعملية (التعقل) القائمة على التدبر والتأمل.

. أن من أهم أساليب تحقيق غاية التعقل، تبيين الدلائل بالشرح والتوضيح وبيان العلة والحكمة والتطبيق العملي في المواقف الحياتية.

. أن المعلم أساس العملية التعليمية فهو المنوط بتبيين الآيات وتوضيحها وبيانها بيانا شافيا، وبدونه قد لا تكتمل عملية (التعقل)

على المعلم أن يمتلك مهارات الفصاحة والبيان وأن تكون ثروته اللغوية تكفيه لتوضيح الدلائل والمعارف وغيرها، وهذه المهارة شرط لحدوث (التبيين) الذي يسهم في (التعقل)

ـ أن يكون في المحتوى الدراسي من الوضوح والفصاحة والبلاغة ما يسهم في في تبيينه وتوضيحه، بعيدا عن الغموض الذي يحول دون (التعقل)

الأسلوب الثاني: التعليم باللغة الأم ذات الثراء اللغوي: ومن أساليب تحقيق (التعقل) كما ورد في القرآن الكريم، التعليم باللغة الأم ذات الثراء اللغوي، ويفهم هذا من الآيتين الدالتين على نزول القرآن باللغة العربية، وقد ورد هذا في آيتين، هما قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: ٢] وقوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الزخرف: ٣]، أَيِ أنزلنا "الْكِتَابَ عَلَى رَسُولِنَا النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ حَالَ كَوْنِهِ قُرْآنًا عَرَبِيًّا، أَيْ بَيَّنَ لَكُمْ بِلُغَتِكُمُ الْعَرَبِيَّةِ مَالَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ مِنَ الدِّينِ وَأَنْبَاءِ الرُّسُلِ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ وَالسِّيَاسَةِ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ مَعَانِيَهُ أَيُّهَا الْعَرَبُ، وَمَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ مِنْ مَطَالِبِ الرُّوحِ وَمَدَارِكِ الْعَقْلِ، وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَتَثْقِيفِ مَدَارِكِ الْوِجْدَانِ وَالْحِسِّ، وَإِصْلَاحِ الِاجْتِمَاعِ الْعَامِّ، الْمُرَادُ بِهَا صَلَاحُ الْحَالِ، وَسَعَادَةُ الْمَآلِ" (رضا، ١٩٩٠، ج١٢، ص٢٠٨)

ومن الدلالات التربوية التي يمكن استنباطها من هذا الأسلوب؛ أن التعقل وحسن فهم المحتوى يتحقق بصورة أفضل عندما يكون مكتوبًا بلغة المتعلم، وهذا أدعى للتعقل، فقد ورد في تفسير الآية قول أبي جعفر: يقول تعالى ذكره: إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين، قرآنًا عربيًّا على العرب، لأن لسانهم وكلامهم عربي، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه، وذلك قوله: (لعلكم تعقلون) (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٥، ص٥٥١) وفي التحرير والتنوير: "وَكَوْنُهُ عَرَبِيًّا يُفِيدُ إِبَانَةَ أَلْفَاظِهِ الْمَعَانِيَ الْمَقْصُودَةَ لِلَّذِينِ خُوطِبُوا بِهِ ابْتِدَاءً، وَهُمُ الْعَرَبُ، إِذْ لَمْ يَكُونُوا يَتَبَيَّنُونَ شَيْئًا مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي حَوْلَهُمْ لِأَنَّ كُتُبَهُمْ كَانَتْ بِاللُّغَاتِ غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ"(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٢، ص٢٠١) وعند الطبري: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا بلسان العرب..(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) معانيه وما فيه من مواعظ، ولم ينزله بلسان العجم، فيجعله أعجميا، فتقولوا: نحن عرب، وهذا كلام أعجمي لا نفقه معانيه" (الطبري، ٢٠٠٠، ج٢١، ص٥٦٢) وعند الزمخشري: "خلقناه عربيا غير عجمي؛ إرادة أن تعقله العرب، ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٤، ص٢٣٦) وعند ابن كثير: {قُرْآنًا عَرَبِيًّا} أَيْ: بِلُغَةِ الْعَرَبِ فَصِيحًا وَاضِحًا، {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أَيْ: تَفْهَمُونَهُ وَتَتَدَبَّرُونَهُ، كَمَا قَالَ: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشُّعَرَاءِ: ١٩٥] (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٧،

ص٢١٨) وعند النعماني: "إنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا؛ لأجل أن تُحيطُوا بمَعْنَاه" (النعماني، ١٩٩٨، ج١٧، ص٢٢٨)

ومن الدلالات التربوية أيضًا لهذا الأسلوب؛ أنه لكي تتحقق غاية (التعقل) ينبغي أن يكون المحتوى منظمًا ومعدّا للقراءة بأسلوب يسهم في تعقله وفهمه، ولعل هذا يفهم من معنى (قرآن)، يقول ابن عاشور: "وقُرْآناً حَالٌ مِنَ الْهَاءِ فِي أَنْزَلْنَاهُ، أَيْ كِتَابًا يُقْرَأُ، أَيْ مُنَظَّمًا عَلَى أُسْلُوبٍ مُعَدٍّ لِأَنْ يُقْرَأَ لَا كَأُسْلُوبِ الرَّسَائِلِ وَالْخُطَبِ أَوِ الْأَشْعَارِ، بَلْ هُوَ أُسْلُوبُ كِتَابٍ نَافِعٍ نَفْعًا مُسْتَمِرًّا يَقْرَأُهُ النَّاسُ" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٢، ص٢٠١)

ولذا فإن بداية تنمية أي مهارة عقلية تتوقف بالدرجة الأولى على تعلم اللغة وفهم معانيها، وهذا يعد الخطوة الأولى لنجاح أي عملية تربوية، فمن لا يفهم اللغة لن يتعلم، ومن هنا يمكن القول إن نظم التربية والتعليم في البلاد العربية ينبغي أن تركز جل اهتمامها في مرحلة الطفولة على إتقان الطفل اللغة العربية وفهمها قبل تعلم أي لغة أخرى باعتبارها اللغة الأم وأداة التعلم، دون أن يتم إضعافها بتداخلها مع لغات أجنبية، وخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة.

وكذلك فإن التعقل يحتاج إلى لغة متعددة الألفاظ والمعاني، ويفهم هذا من تفسير ابن كثير، في قوله: "وَذَلِكَ لِأَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ وَأَبْيَنُهَا وَأَوْسَعُهَا، وَأَكْثَرُهَا تَأْدِيَةً لِلْمَعَانِي الَّتِي تَقُومُ بِالنُّفُوسِ" (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٤، ص٣٦٥) وكذلك قول ابن عاشور: "وَمَعْنَى جَعْلِهِ قُرْآناً عَرَبِيًّا تَكْوِينُهُ عَلَى مَا كُوِّنَتْ عَلَيْهِ لُغَةُ الْعَرَبِ، وَأَنَّ اللَّهَ بِبَاهِرِ حِكْمَتِهِ جَعَلَ هَذَا الْكِتَابَ قُرْآنًا بِلُغَةِ الْعَرَبِ لِأَنَّهَا أَشْرَفُ اللُّغَاتِ وَأَوْسَعُهَا دَلَالَةً عَلَى عَدِيدِ الْمَعَانِي"(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٥، ص١٦١)، فكلما امتلك المتعلم ثروة لغوية كبيرة، كان هذا مساعدا له في التعلم والفهم والتعقل.

ومن هنا يمكن القول أيضا؛ إن التيسير على المتعلم من معينات التعقل، وأن استخدام اللغة المفهومة يسهم في تعقل المعاني والصور التي تحتويها، كما أن اللغة الأم هي لغة التفكير والتعقل، ولذا فمن يتعلم لغتين أو كان من أصل ما ونشأ في بيئة بلغة أخرى فإن لغته الأم تتحدد باللغة التي يفكر بها.

الأسلوب الثالث: استثارة العقل بحقائق علمية جديدة مرتبطة باهتماماته: ومن أساليب تحقيق التعقل في القرآن الكريم، بيان الحقائق العلمية المجهولة بالنسبة له والداخلة في نطاق اهتماماته وبحثه، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ

عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [غافر: ٦٧]

ففي الآية ما يشير إلى أن بيان هذه الحقائق من كيفية خلق الإنسان ومراحل نموه بما فيها من قدرة إلهية وترتيب وتنظيم، من الأمور التي تستدعي التعقل، قال الطبري: (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول: "وكي تعقلوا حجج الله عليكم بذلك، وتتدبروا آياته فتعرفوا بها أنه لا إله غيره فعل ذلك" (الطبري، ٢٠٠٠، ج٢١، ص٤١٢)، وقال الزمخشري: وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ما في ذلك من العبر والحجج.(الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٤، ص١٧٧)

وفي (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٤، ص ١٩٨، ١٩٩): (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)عَطْفٌ عَلَى وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى أَيْ أَنَّ مِنْ جُمْلَةِ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ عَلَى الْحَالَةِ الْمُبَيَّنَةِ، أَنْ تَكُونَ فِي تِلْكَ الْخِلْقَةِ دَلَالَةٌ لِآحَادِهِ عَلَى وُجُودِ هَذَا الْخَالِقِ الْخَلْقَ الْبَدِيعَ، وَعَلَى انْفِرَادِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ، وَعَلَى أَنَّ مَا عَدَاهُ لَا يَسْتَحِقُّ وَصْفَ الْإِلَهِيَّةِ، فَمَنْ عَقَلَ ذَلِكَ مِنَ النَّاسِ فَقَدِ اهْتَدَى إِلَى مَا أُرِيدَ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ ذَلِكَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ عَدِيمِ الْعَقْلِ، وَلِأَجْلِ هَذِهِ النُّكْتَةِ لَمْ يُؤْتَ لِفِعْلِ تَعْقِلُونَ بِمَفْعُولٍ وَلَا بِمَجْرُورٍ لِأَنَّهُ نُزِّلَ مَنْزِلَةَ اللَّازِمِ، أَيْ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ عُقُولٌ فَهُوَ مُرَادٌ لِلَّهِ مِنْ ذَلِكَ الْخَلْقِ فَمِنْ حِكْمَتِهِ أَن جعل ذَلِك الْخَلْقَ الْعَجِيبَ عِلَّةً لأمور كَثِيرَة.

ومن التطبيقات التربوية لهذا الأسلوب؛ أن يسعى المعلم لاستثارة العقول من خلال بيان بعض الحقائق المثيرة للعمليات العقلية، وأن يكون المحتوى التعليمي الذي يقدمه أي مربٍّ أو كاتب محتوى يتسم بالجدّة التي تثير اهتمام المستمع أو القارئ، وأن من يكرر كلام السابقين دون جديد لا يثير اهتمام العقول ولا يترك لها فرصة للتعقل والتدبر.

الأسلوب الرابع: الوصية بالبعد عن المنهيات: ومن أساليب تحقيق غاية (التعقّل): الوصية، وقد ورد هذا في قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: ١٥١]

والْوَصِيَّةُ: مَا يُعْهَدُ إِلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْمَلَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ تَرْكِ شَرٍّ بِمَا يُرْجَى تَأْثِيرُهُ، وَيُقَالُ: أَوْصَاهُ وَوَصَّاهُ. وَجَعَلَهَا الرَّاغِبُ عِبَارَةً عَمَّا يُطْلَبُ مِنْ عَمَلٍ مُقْتَرِنًا بِوَعْظٍ، وَأَصْلُ مَعْنَى " وَصَى " الثُّلَاثِيِّ " وَصَلَ"، وَمُوَاصَاةُ الشَّيْءِ مُوَاصَلَتُهُ، وَهُوَ خَاصٌّ بِالنَّافِعِ كَالْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ، يُقَالُ: وَصَى النَّبْتُ اتَّصَلَ وَكَثُرَ، وَأَرْضٌ وَاصِيَةُ النَّبَاتِ (رضا، ١٩٩٠، ج٨، ص١٦٦)، فالوصية تتضمن معاني (الاستمرارية والمواصلة، والاتصال، والصلة القوية، والكثرة)، وهذه

المعاني اللغوية ترتبط بمعانٍ تربوية؛ منها: ضرورة بناء علاقة (صلة) قوية بين المعلم والمتعلم قبل وصيته؛ ليكون ذلك أدعى لقبول الوصية، وعلى الجانب الآخر، فإن الوصية بالخير مما يقوي العلاقة بين الطرفين خاصة إذا كان الموصَى ذا عقل يتعقل به الوصية، كما تشير أيضا إلى استمرارية تقديم الوصايا وعدم اليأس من الإصلاح مهما طال الزمن، وعلى المربي أن يواصل عملية التربية بصبر دون كلل أو ملل.

وتوضح كتب التفسير أن (الوصية) أسلوب من أساليب تحقيق (التعقّل)، فعند ابن كثير: {ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أَيْ: هَذَا مَا وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ عَنْهُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٣، ص٣٦٣)، وفي تفسير المنار: "أَيْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ إِعْدَادِكُمْ وَبَاعِثِ الرَّجَاءِ فِي أَنْفُسِكُمْ لِأَنْ تَعْقِلُوا مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالْمَنْفَعَةُ فِي تَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ وَفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا تُدْرِكُهُ الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ بِأَدْنَى تَأَمُّلٍ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الْحُسْنِ الذَّاتِيِّ وَإِدْرَاكِ الْعُقُولِ لَهُ بِنَظَرِهَا، وَإِذَا هِيَ عَقَلَتْ ذَلِكَ كَانَ عَاقِلًا لَهَا وَمَانِعًا مِنَ الْمُخَالَفَةِ" (رضا، ١٩٩٠، ج٨، ص١٦٦)، ومن هنا يمكن أن تتضح العلاقة بين (التفكر)، و (التعقل)، فالإنسان إذا (تفكر) في الأمر ووصل إلى (الفكرة) فإن عليه أن يعقلها أي يمسكها ويحتفظ بها، كما أن هذه (الفكرة) ينبغي أن تكون سببا في (تعقله) أي منعه من المخالفة والوقوع في الأخطاء، اتفاقًا مع المعنى اللغوي للعقل الذي يعني الحبس والمنع، وفي هذا كله إشارة إلى الجانب العملي التطبيقي للعلم والأفكار، وأن العلم الذي لا ينفع صاحبه بأن يجعله أكثر (تعقلا) و (امتناعًا) عن الوقوع في الأخطاء، يحتاج إلى إعادة نظر في محتواه أو أساليب تعليمه.

وإذا كانت الوصية بمعناها المشتمل على طلب مقرون بالوعظ، من الأساليب التي يمكن من خلالها تحقيق (التعقل)، ففي هذا إشارة إلى أن مخاطبة الوجدانيات والمشاعر تسهم في التربية العقلية، وأن ثمة علاقة وطيدة بين جوانب الإنسان المختلفة (الوجدانية، والعقلية، والجسمية، وغيرها) وأن التأثير في أحد هذه الجوانب قد يكون له تأثير في الجوانب الأخرى، مما يشير إلى هذا التكامل في الشخصية الذي ينبغي أن يقابل بتكامل في طرائق ومحتوى تربيته.

يتضح مما سبق أن غاية (التعقل) يمكن تحقيقها كما جاء في القرآن الكريم بأربعة أساليب؛ هي: تبيين الآيات، والتعليم باللغة الأم ذات الثراء اللغوي، واستثارة العقل بحقائق علمية جديدة، والوصية، فكأن التعقل يمكن تحقيقه من خلال محتوى تعليمي، يتسم بهذه الأساليب الأربعة: (الشرح والتوضيح، ووضوح اللغة وثرائها، واستخدامه أسلوب الوصية لمخاطبة القلب

والعقل، وتزويده بحقائق علمية جديدة تثير العقل وتنشّطه، ويمكن توضيح هذا من خلال الشكل التالي:

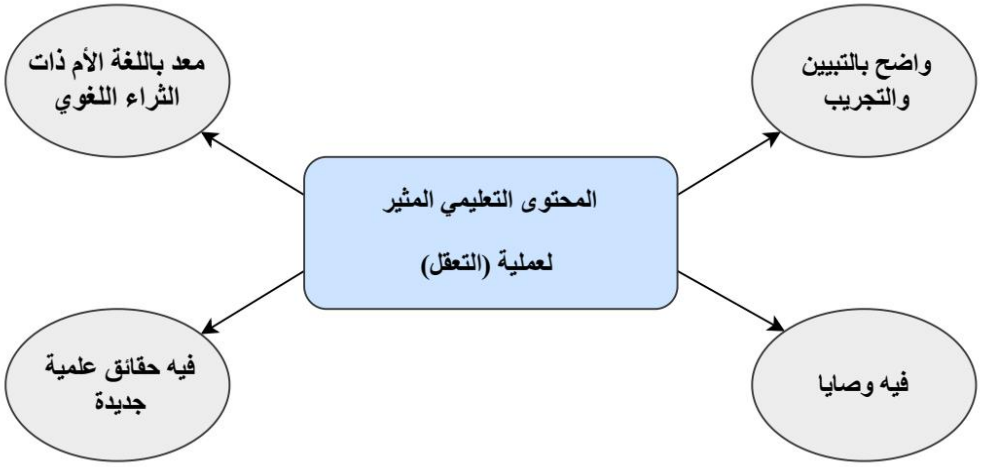

شكل (٣) خصائص المحتوى المثير لعملية التعقل.

ثالثا: غاية التذكر:

وردت هذه الغاية في القرآن الكريم ست عشرة مرة، وبتحليل هذه الآيات يتضح ما يلي:

. (٦) آيات منها جاءت بصيغة (لعلكم تذكّرون) و (٣) منها بصيغة (لعلهم يذّكرون)، و(٧) منها بصيغة (لعلهم يتذكّرون)، بمعنى أن (١٠) منها كان إخبارًا عن غائبين، و (٦) للمخاطبين.

. وردت (٧) منها بزيادة (التاء) (يتذكرون)، و(٩) بتشديد الذال وبدون تاء، ويلاحظ أن الآيات التي وردت غاية التذكر فيها بزيادة (التاء) هي تلك الآيات التي تشتمل على أمور تحتاج إلى طول تذكر وتدبر وإعمال للعقل، وأما التي وردت بدون تاء، فهي التي تشتمل على أمور واضحة لا تحتاج إلى طول تذكر وتدبر، اتفاقًا مع القاعدة اللغوية (زيادة المبنى تدل على زيادة في المعنى)، فعلى سبيل المثال عندما يتحدث الله عن شيء معلوم للجميع غير مختلف فيه كأنه خلق من كل شيء زوجين، تأتي صيغة (تذكّرون) قال تعالى: { وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: ٤٩]، وأما الآيات التي فيها ضرب للأمثال، وحديث عن القرآن بصفة خاصة والكتب السماوية بصفة عامة، تأتي صيغة (يتذكرون)، قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: ٤٣]، {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [القصص: ٥١] {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الزمر: ٢٧] ٠{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الدخان: ٥٨]، في إشارة تربوية إلى أن كل محتوى يتطلب فترة زمنية مناسبة لطبيعته لا لكمّه، وأن نظم التعليم ينبغي أن تراعي المدة الزمنية لتحقيق نواتج تعلم معينة بناء على مدى وضوحها وقدرة المتعلم على تحقيقها.

والتذكر غاية بنائية من الغايات التي وردت في الآيات المختومة بصيغة الرجاء في القرآن الكريم، وقد جاءت لتشير إلى عدد من المعاني، وفق سياقها، ومن هذه المعاني:

. مُرَاجعَة المنسيّ الْمَغْفُولِ عَنْهُ: أَيْ رَجَاءَ أَنْ تَتَذَكَّرُوا، أَيْ تَتَذَكَّرُوا بِهَذِهِ الْمَوْعِظَةِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ فَإِنَّهَا جَامِعَةٌ بَاقِيَةٌ فِي نفوسكم. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٤، ص٢٦٠)

. الاحتفاظ بالفكرة وعدم نسيانها: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول: لتتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها. (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٩، ص٩٠)

ـ اكتساب العلم: فالتذكر في أصل معناه، خُطُورُ مَا كَانَ منسيا بالذهن، وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِاكْتِسَابِ الْعِلْمِ مِنْ أَدِلَّتِهِ الْيَقِينِيَّةِ بِجَعْلِهِ كَالْعِلْمِ الْحَاصِلِ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَهُ الذِّهْنُ، أَيِ الْعِلْمُ الَّذِي شَأْنُهُ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا، فَشُبِّهَ جَهْلُهُ بِالنِّسْيَانِ وَشُبِّهَ عِلْمُهُ بِالتَّذَكُّرِ. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٨، ص١٤٤، ١٤٥)

ـ إعادة التفكر ومراجعة النفس: وذلك كما في قوله تعالى: { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: ٤٧ – ٤٩] فَالتَّذَكُّرُ مُسْتَعْمَلٌ فِي إِعَادَةِ التفكر فِي الْأَشْيَاءِ وَمُرَاجَعَةِ أَنْفُسِهِمْ فِيمَا أَحَالُوهُ لِيَعْلَمُوا بَعْدَ إِعَادَةِ النَّظَرِ أَنَّ مَا أَحَالُوهُ مُمْكِنٌ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَأْلَفُوهُ فَاشْتَبَهَ عَلَيْهِمُ الْغَرِيبُ بِالْمُحَالِ فَأَحَالُوهُ، فَلَمَّا كَانَ تَجْدِيدُ التَّفَكُّرِ الْمَغْفُولِ عَنْهُ شَبِيهًا بِتَذَكُّرِ الشَّيْءِ الْمَنْسِيِّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَهَذَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ [الْوَاقِعَة: ٦٠– ٦٢] فَقَدْ ذُيِّلَ هُنَالِكَ بِالْحَثِّ عَلَى التَّذَكُّرِ، كَمَا ذُيِّلَ هُنَا بِرَجَاءِ التَّذَكُّرِ، فَأَفَادَ أَنَّ خَلْقَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ هُوَ النَّشْأَةُ الْأُولَى وَأَنَّهَا الدَّالَّةُ عَلَى النَّشْأَةِ الْآخِرَةِ. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٧، ص١٨)

. التَّأَمُّلُ وَالتَّدَبُّرُ: لِيَنْكَشِفَ لَهُمْ مَا هُمْ غَافِلُونَ عَنْهُ سَوَاءٌ مَا سَبَقَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ فَنَسُوهُ وَشُغِلُوا عَنْهُ بِسَفْسَافِ الْأُمُورِ، وَمَا لَمْ يَسْبِقْ لَهُمْ عِلْمٌ بِهِ مِمَّا شَأْنُهُ أَنْ يَسْتَبْصِرَهُ الرَّأْيُ الْأَصِيلُ حَتَّى إِذَا

انْكَشَفَ لَهُ كَانَ كَالشَّيْءِ الَّذِي سَبَقَ لَهُ عِلْمُهُ وَذَهَلَ عَنْهُ، فَمَعْنَى التَّذَكُّرِ مَعْنًى بَدِيعٌ شَامِلٌ لِهَذِهِ الْخَصَائِصِ. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٣، ص٣٩٧، ٣٩٨)

والتذكر غاية بنائية، تسهم في تحقيق غايات أكبر، ومنها الاتعاظ، والاستقامة، والاعتبار، والتمييز، والقدرة على الاختيار، وتشير التفاسير إلى هذا الأمر، ففي المنار: (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يَتَّعِظُونَ فَيَسْتَقِيمُونَ؛ (رضا، ١٩٩٠، ج٢، ص٢٨٤) وعند الطبري: "ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون"، يقول: ويوضح حججه وأدلته في كتابه الذي أنزله على لسان رسوله لعباده، ليتذكروا فيعتبروا، ويميزوا بين الأمرين اللذين أحدهما دَعَّاءٌ إلى النار والخلود فيها، والآخر دَعَّاءٌ إلى الجنة وغفران الذنوب، فيختاروا خيرهما لهم" (الطبري، ٢٠٠٠، ج٤، ص٣٧١)، ويقول أيضا: ليتذكروا حُجَّة الله عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا، فينزجروا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان. (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٦، ص٥٦٧)، وفي التحرير والتنوير: "فَآلَ مَعْنَى التَّذَكُّرِ إِلَى لَازِمِهِ وَهُوَ الِاتِّعَاظُ وَالِاعْتِبَارُ، وَقَدْ شَاعَ إِطْلَاقُ التَّذَكُّرِ وَإِرَادَةُ مَعْنَاهُ الْكِنَائِيِّ وَغلب فِيهِ" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٠، ص٥١) وفي موضع آخر: "الْمُرَادَ التَّذَكُّرُ الشَّامِلُ الَّذِي يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عِبْرَةً وَإِيمَانًا، وَالَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُقْلِعَ مِنَ الْمُشْرِكِ اعْتِقَادَ الشِّرْكِ وَمِنْ مُنْكِرِ الْبَعْثِ إِنْكَارَهُ" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٨–ب، ص ١٨٤)

وهناك فرق بين (الذكر)، و (التذكّر)، فَالذِّكْرُ يُطْلَقُ فِي الْأَصْلِ عَلَى إِخْطَارِ مَعْنَى الشَّيْءِ أَوْ خُطُورِهِ فِي الذِّهْنِ وَيُسَمَّى ذِكْرَ الْقَلْبِ، وَعَلَى النُّطْقِ بِاللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَيْهِ وَيُسَمَّى ذِكْرَ اللِّسَانِ، وَيُسْتَعْمَلُ مَجَازًا بِمَعْنَى الصِّيتِ وَالشَّرَفِ، وَفُسِّرَ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) وَيُطْلَقُ بِمَعْنَى الْعِلْمِ وَبِهِ يُسَمَّى الْقُرْآنُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ ذِكْرًا، وَمِنْهُ (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، وَأَمَّا التَّذَكُّرُ فَمَعْنَاهُ تَكَلُّفُ ذِكْرِ الشَّيْءِ فِي الْقَلْبِ، أَوِ التَّدَرُّجِ فِيهِ بِفِعْلِهِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الِاتِّعَاظِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) وَقَوْلُهُ: (سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى) (رضا، ١٩٩٠، ج٨، ص١٧٠، ١٧١)

وبتتبع الآيات المختومة بصيغة الرجاء في القرآن الكريم، يمكن القول إن غاية (التذكر) بمعانيها المختلفة السابقة، يمكن أن تُحقق بمجموعة من الأساليب، وفق الجدول الآتي:

جدول (٦) أساليب تحقيق غاية (التذكر)

م	الأسلوب	ت	الآيات
١	توافر محتوى يتسم بـ (البصيرة . الهدى .	2	{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: ٤٣]

	الرحمة . التيسير بلغة مفهومة على لسان معلم فصيح اللسان)		{ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الدخان: ٥٨]
٢	توضيح الآيات بـ (التبيين . التوصيل)	3	{وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [البقرة: ٢٢١]،
			{سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النور: ١]
			{وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: ٥١]
٣	سوق الحجج والأدلة	2	{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف: ٢٦]
			{ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: ٤٧ – ٤٩]
٤	ضرب الأمثال	3	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم:٢٤، ٢٥]
			{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الزمر: ٢٧]
			{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: ٥٧]
٥	الوصية	2	{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: ١٥٢]
			{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النور: ٢٧]
٦	الوعظ	1	{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠]

٧	الإنذار والوعيد	1	{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: ٤٦]
٨	العقوبة	2	{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف: ١٣٠]
			{فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأنفال: ٥٧]
المجموع		16	

الأسلوب الأول: توافر محتوى يتسم بـ (البصيرة . الهدى . الرحمة . التيسير بواسطة معلم):

وقد تكرر هذا الأسلوب في آيتين، هما قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: ٤٣] وقوله تعالى: { فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الدخان: ٥٨]

وتشير هاتان الآيتان إلى أن من أهم أساليب تحقيق غاية (التذكر) أن يتوافر في المحتوى التعليمي مجموعة من الخصائص، هي: (البصيرة . الهدى . الرحمة . التيسير بلغة واضحة وبواسطة معلم)، وقد وردت الخصائص الثلاث الأولى في آية سورة القصص، والخاصية الأخيرة في آية سورة الدخان.

وبالتدقيق في هذه الخصائص، يمكن القول إن الآية الأولى تتحدث عن فئة في حالة من الضلال جاءهم رسول معلم بكتاب لكي يعدّل سلوكهم، ويبصرهم بأخطائهم، لينقلهم من حالة الضلال إلى حالة الهدى، فكأن الآية توضح منهجية تعديل السلوك أو الاتجاهات، أو المفاهيم، وفق مراحل ثلاث مرتبطة بالخصائص الثلاثة الأولى (البصيرة . الهدى . الرحمة)، كما يأتي:

ـ المرحلة الأولى: (التبصرة بالأخطاء)، وذلك بأن يشتمل المحتوى على مجموعة من (البصائر) المعرفية، والوجدانية، والمهارية، التي تظهر السلبيات والأخطاء وتبصرهم بها، ولذا وُصف الكتاب بأنه (بصائر)، والْبَصَائِرُ: جَمْعُ بَصِيرَةٍ، وَالبصيرة عند (ابن عاشور): إِدْرَاكُ الْعَقْلِ، وسُمِّيَ بَصِيرَةً اشْتِقَاقًا مِنْ بَصَرِ الْعَيْنِ، وَجُعِلَ الْكِتَابُ بَصَائِرَ بِاعْتِبَارِ عِدَّةِ دَلَائِلِهِ وَكَثْرَةِ بَيِّنَاتِهِ (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٠، ص١٢٩) وعند الزمخشري، البصيرة: نور القلب الذي يستبصر به، كما أن البصر نور العين الذي تبصر به، يريد: آتيناه التوراة أنوارا للقلوب، لأنها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٣، ص ٤١٦، ٤١٧) فالكتاب بصائر لهم مِنَ الْعَمَى وَالْغَيِّ (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٦، ص٢٣٩)، فالمحتوى

ينبغي أن يكون واضحًا مبيّنًا للحقائق، بكثرة دلائله ومعلوماته وحججه وطرق عرضه، مؤثرًا وجدانيًّا بمخاطبة القلب لينمي بصيرته، ومؤثرًا عقليًّا بوضوحه وتبيين الحق من الباطل.

. المرحلة الثانية: (الهداية إلى الحق)، فبعد مرحلة (التبصير بالأخطاء والسلبيات) تأتي مرحلة (الهداية إلى الحق)، فالمعلم أو المصلح أو الداعية الجيد لا يكتفي فقط ببيان السلبيات والأخطاء، ولا يقف عن حد النقد، بل ينتقل إلى مرحلة أعلى وهي (تقديم البديل) ولذا وُصف المحتوى بأنه (هُدًى) أي هاديًا إِلَى الْحَقِّ، وإرشادا،لأنهم كانوا يخبطون في ضلال (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٦، ص٢٣٩)، (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٣، ص٤١٧)، مما يشير إلى أهمية انتقاء المحتوى التعليمي، ليكون وسيلة للهداية إلى الحق، والبعد عن الباطل.

ـ المرحلة الثالثة: (تحقق الرحمة أسلوبًا وغاية) فبعد (التبصرة، والهداية) تأتي خاصية (الرحمة)، وهي قد تحمل معنيين، أحدهما مرتبط بالوسيلة، والآخر مرتبط بالغاية، فالمرتبط بالوسيلة يشير إلى أن يكون المعلم رحيما بالمتعلم في تبصرته وهدايته، وأما المرتبط بالغاية، فيقصد به أن يكون المحتوى بهذه الخصائص سببًا في نوال المتعلم لرحمة الله، فعند الطبري: ورحمة لمن عمل به منهم (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٩، ص٥٨٣) وعند الزمخشري: "وَرَحْمَةً؛ لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة" (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٣، ص٤١٦، ٤١٧) وعند ابن كثير: {وَرَحْمَةً} أَيْ: إِرْشَادًا إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٦، ص٢٣٩) التي بها يرتقي السلوك.

ومن هنا يمكن القول إن من أساليب تحقيق غاية (التذكّر) أن يشتمل المحتوى التعليمي على عدة خصائص قد يتم تحقيقها مراحل تتابعية، هي: أن يكون {بَصَائِرَ لِلنَّاسِ} أَيْ: يوضح لهم السلبيات والأخطاء ويبصرهم بها حتى يخرجهم من حالة الْعَمَى وَالْغَيِّ، وأن يكون {هُدًى} إِلَى الْحَقِّ، مبيَّنًا الصواب بعد أن بين الأخطاء، فهو منهج لا يكتفي بالنقد وبيان السلبيات، بل يقدم الحلول والبدائل، وأن يكون {رَحْمَةً} أَيْ: إِرْشَادًا إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، التي من خلالها يرتقي السلوك، وهنا تظهر الغاية والوسيلة في تعديل السلوك وبيان الحقائق، فالغاية هي الرحمة بالمتعلم حتى يقلع عن السلبيات ويمارس الإيجابيات ويحقق لنفسه السعادة والرقي، والرحمة في الأسلوب المتبع في تبصيره وهدايته، فبعد بيان السلبيات بخاصية (البصائر) وتعديلها بخاصية (الهدى)، تأتي خاصية (الرحمة) في الأسلوب وفي الغاية.

ـ وتأتي الآية الثانية، لتشير إلى خاصية رابعة للمحتوى، إضافة إلى خصائص (التبصرة، والهدى، والرحمة) تسهم في تحقيق غاية التذكر، وهذه الخاصية هي: أن يتسم بالتيسير على

المتعلم، وهذا التيسير يكون بأمرين، الأول: أن يكون المحتوى بلغة واضحة ومفهومة، ليكون أيسر على المتعلم فهمه، ولا توجد لغة أوضح وأيسر على المتعلم العربي من لغته الأم، والثاني: أن يوضحه معلم طلق اللسان من أهل اللغة التي يعلّم بها، يقول الزمخشري: "فَإِنَّما يَسَّرْناهُ أى: سهلناه، حيث أنزلناه عربيا بلسانك بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٤، ص٢٨٣)، فإنما سهّلنا قراءة هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد بلسانك، ..... ويسَّرناه: أطلق به لسانه. (الطبري، ٢٠٠٠، ج٢٢، ص٥٦) وعند ابن كثير: إِنَّمَا يَسَّرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ سَهْلًا وَاضِحًا بَيِّنًا جَلِيًّا بِلِسَانِكَ الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ وَأَجْلَاهَا وَأَحْلَاهَا وَأَعْلَاهَا (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٧، ص٢٦٣)، ويقول ابن عاشور: قَدْ سَهُلَ لَهُمْ طَرِيقُ فَهْمِهِ بِفَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ ... أَيْ إِنَّا جَعَلْنَا فَهْمَهُ يَسِيرًا بِسَبَبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى وَهِيَ لُغَتُهُمْ .... فَذَكِّرْهُمْ بِهِ وَلَا تَسْأَمْ لِعِنَادِهِمْ فِيهِ وَدُمْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَحْصُلَ التَّذَكُّرُ، فَالتَّيْسِيرُ هُنَا تَسْهِيلُ الْفَهْمِ....وَفِي هَذَا الْكَلَامِ الْمُوجَزِ إِخْبَارٌ بِتَيْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلْفَهْمِ لِأَنَّ الْغَرَضَ مِنْهُ التَّذَكُّرُ، قَالَ تَعَالَى: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ [الْقَمَر: ١٧] ، وَبِأَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ التَّيْسِيرِ كَوْنُهُ بِأَفْصَحِ اللُّغَاتِ وَكَوْنُهُ عَلَى لِسَانِ أفضل الرُّسُل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلِذَلِكَ كَانَ تَسَبُّبُهُ فِي حُصُولِ تَذَكُّرِهِمْ تَسَبُّبًا قَرِيبًا لَوْ لَمْ يَكُونُوا فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٥، ص٣٢٢)، ومما سبق يمكن قول ما يلي:

. إن أي عملية تقويم أو إصلاح تبدأ بالتشخيص، وذلك بالتبصرة بالسلبيات والأخطاء.

. لا يتوقف الإصلاح عند مرحلة التبصرة بالأخطاء أو التشخيص، بلا لا بد من تقديم البديل الجيد، متمثلا في الهداية إلى الحق والإرشاد إلى الصواب.

ـ تبدو من هذا الأسلوب أهمية تعريب العلوم التي يتم بها التعليم في الكليات العملية، وقد يسهم هذا التعريب في تسهيل فهم الطالب وتذكره، لكونه قد تعلمه بلغته الواضحة المفهومة.

. تبدو أهمية أن يعلم اللغة معلم من أهلها، فمن الأفضل أن يعلّم العربية للناطقين بغيرها معلّم عربي، ويعلّم الإنجليزية للناطقين بغيرها معلّم إنجليزي، وهكذا، فإن أهل اللغة أقدر على تعليمها وتوضيحها، لتتحقق خاصية (التيسير) فتتحقق غاية (التذكر).

. أن يكون المعلم ميسّرًا للعملية التعليمية، يختار اللغة السهلة التي تيسر فهم المحتوى بعيدًا عن التقعر والجمود ومخاطبة المتعلم بما لا يفهم.

الأسلوب الثاني: توضيح الآيات: ومن أساليب (التذكر)، توضيح الآيات والدلائل، وقد جاء هذا التوضيح في صورتين: (التبيين . التوصيل)

ـ التبيين: وذلك في آيتين، هما قوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [البقرة: ٢٢١]، وقوله تعالى: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النور: ١]

ويقصد بتبيين الآيات: التفسير والتوضيح: {وَأَنزلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} أَيْ: مفسَّرات واضحَات، (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٦، ص٥)، ومن أساليب التبيين: بيان الحكم وفائدته: أَيْ: يُوَضِّحُ الدَّلَائِلَ عَلَى أَحْكَامِ شَرِيعَتِهِ لِلنَّاسِ، فَلَا يَذْكُرُ لَهُمْ حُكْمًا إِلَّا وَيُبَيِّنُ لَهُمْ حِكْمَتَهُ وَفَائِدَتَهُ بِمَا يُظْهِرُ لَهُمْ بِهِ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ وَالسَّعَادَةَ فِيمَا شَرَعَهُ لَهُمْ (رضا، ١٩٩٠، ج٢، ص٢٨٤)،

ويعد (تبيين الآيات) أسلوبًا من أساليب تحقيق غاية (التذكر)، ومعينا من معينات الذاكرة، ولذا فإن تعليم مبدأ أو حكم أو حقيقة أو مفهوم بشكل مجرد خال من بيان العلة والفائدة، يكون هذا التعليم أكثر عرضة للنسيان والخمول وعدم الاستفادة الدائمة منه، أما إذا اقترنت هذه المحتويات بالتوضيح والتبيين من حيث بيان العلة والفائدة، فإن ذلك مما قد يؤدي إلى تنشيط المحتوى، وبقاء أثر التعلم، ويسهم في تذكره ويقاوم نسيانه، يقول رضا: "إِنَّ الْحُكْمَ إِذَا لَمْ تُعْرَفْ فَائِدَتُهُ لِلْعَامِلِ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَمَلَّ الْعَمَلَ بِهِ فَيَتْرُكَهُ وَيَنْسَاهُ، وَإِذَا عَرَفَ عِلَّتَهُ وَدَلِيلَهُ وَانْطِبَاقَهُ عَلَى مَصْلَحَتِهِ وَمَصْلَحَةِ مَنْ يَعِيشُ مَعَهُمْ فَأَجْدَرُ بِهِ أَنْ يَحْفَظَهُ وَيُقِيمَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَيَسْتَقِيمَ عَلَيْهِ، لَا يُكْتَفَى بِالْعَمَلِ بِصُورَتِهِ وَإِنْ لَمْ تُؤَدِّ إِلَى الْمُرَادِ مِنْهُ، وَمِنْ هُنَا قَالَ الْفُقَهَاءُ: إِنَّ الْحُكْمَ يَدُورُ مَعَ الْعِلَّةِ وُجُودًا وَعَدَمًا، وَإِنَّ مَا يُشَارِكُ الْمَنْصُوصَ فِي الْعِلَّةِ يُعْطَى حُكْمَهُ، وَلَيْتَنَا عَمِلْنَا بِهَذِهِ الْقَوَاعِدِ وَلَمْ نَرْجِعْ إِلَى التَّمَسُّكِ بِالظَّوَاهِرِ مِنْ غَيْرِ عَقْلٍ، وَيَا لَيْتَهَا ظَوَاهِرُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، إِنْ هِيَ إِلَّا ظَوَاهِرُ أَقْوَالِ أَقْوَامٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ، مِنْهُمُ الْمَعْرُوفُ تَارِيخُهُ وَمِنْهُمُ الْمَجْهُولُ أَمْرُهُ، وَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى، فَاللهُمَّ ذَكِّرْنَا مَا نُسِّينَا، وَاهْدِنَا إِلَى الِاعْتِبَارِ بِكِتَابِكَ وَالْعَمَلِ بِهِ؛ لِنَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ" (رضا، ١٩٩٠، ج٢، ص٢٨٤)

ومن التطبيقات التربوية لهذا الأسلوب: أن يبين المعلم للمتعلم الفائدة مما يقدمه من أحكام أو مبادئ أو مفاهيم أو غيرها، وأن يكون المحتوى المقدم يلبي احتياجات المتعلم، وأن يكون التعليم متسقا مع احتياجات المجتمع، وأن يذكر المربي للطفل أو المتعلم العلة من منعه من شيء ما أو أمره به، ليكون ذلك مسهمًا في تذكره وعدم نسيانه.

. التوصيل: وذلك في قوله تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: ٥١]، ومعنى (التوصيل) التوضيح أيضًا، وهو يشترك مع (التبيين) في أن كلا منهما تفسير وتوضيح، قال بعضهم: معناه: بيّنا. وقال بعضهم: معناه: فصلنا (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٩، ص٥٩٣)، إلا أن التوصيل يحمل معنيي الاستمرارية والتنوع:

. الاستمرارية في توصيل لفظه: وأصله من: وصل الحبال بعضها ببعض (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٩، ص٥٩٣)، فهو مُبَالَغَةٌ فِي الْوَصْلِ، وَهُوَ ضَمُّ بَعْضِ الشَّيْءِ إِلَى بَعْضٍ يُقَالُ: وَصَلَ الْحَبْلَ إِذَا ضَمَّ قِطَعَهُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ فَصَارَ حَبْلًا، وَالْقَوْلُ مُرَادٌ بِهِ الْقُرْآنُ...وَلِلتَّوْصِيلِ أَحْوَالٌ كَثِيرَةٌ فَهُوَ بِاعْتِبَارِ أَلْفَاظِهِ وُصِّلَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَلَمْ يَنْزِلْ جُمْلَةً وَاحِدَةً" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٠، ص١٤٢)

ـ الاستمرارية في عرض الأحداث: قَالَ قَتَادَةُ: يَقُولُ تَعَالَى: أَخبَرَهم كَيْفَ صُنع بِمَنْ مَضَى وَكَيْفَ هُوَ صَانِعٌ(ابن كثير، ١٩٩٩، ج٦، ص٢٤٣)

ـ التنوع في معانيه: وَبِاعْتِبَارِ مَعَانِيهِ وُصِّلَ أَصْنَافًا مِنَ الْكَلَامِ: وَعْدًا، وَوَعِيدًا، وَتَرْغِيبًا، وَتَرْهِيبًا، وَقَصَصًا وَمَوَاعِظَ وَعِبَرًا، وَنَصَائِحَ يَعْقُبُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيَنْتَقِلُ مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ وَفِي كُلِّ ذَلِكَ عَوْنٌ عَلَى نَشَاطِ الذِّهْنِ لِلتَّذَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٠، ص١٤٢)، ويقول الزمخشري: قرئ وَصَّلْنا بالتشديد والتخفيف. والمعنى: أن القرآن أتاهم متتابعا متواصلا، وعدا ووعيدا، وقصصا وعبرا، ومواعظ ونصائح؛ إرادة أن يتذكروا فيفلحوا، أو نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في أثر بعض (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٣، ص٤٢١)

ومن الدلائل والتطبيقات التربوية لهذه الطريقة في توضيح المحتوى وتفسيره:

. استدامة التربية وعدم الفصل بين مراحل الدراسة بمراحل زمنية تؤدي إلى النسيان.

. أن يكون لكل شهادة من الشهادات (مدة صلاحية) لا ينتقل المتعلم للأعلى منها بعد انقضاء المدة، إلا إذا اجتاز اختبارًا للتأكد من تذكره وفهمه لما درسه.

. أن استمرارية التعلم مع القدر القليل أكثر معينا للتذكر من تعليم المتعلم قدرا كبيرا وتركه فترة طويلة، ولعل هذا يمكن أن يستفيد منه محفظو القرآن الكريم بأن يكون التعليم والتحفيظ مستمرا بشكل يومي حتى لو كان القدر المحفوظ قليلا، لأن هذا يسهم بشكل كبير في التذكر ومقاومة النسيان، هذا بخلاف ما إذا كان الجدول الدراسي يسير وفق تحفيظ كم كبير مع فاصل زمني كبير، ولعل هذا يؤكده قول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَعَاهَدُوا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا» (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٦، ص١٩٣)، وقوله صلى

الله عليه وسلم: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ» (مسلم، د.ت، ج١، ص٥٤١)

الأسلوب الثالث: سوق الحجج والأدلة: وبالإضافة إلى توافر محتوى يتسم بالبصيرة والهدى والرحمة والتيسير، وتوضيح الآيات بالتبيين والتوصيل؛ يأتي أسلوب سوق الحجج والأدلة كأحد أساليب تحقيق غاية (التذكر)، وذلك في موضعين هما قوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف: ٢٦] وقوله تعالى: { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: ٤٧ – ٤٩]

ففي الموضع الأول قوله: ذلك من آيات الله، معناه: من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده، يعني إنزاله عليهم لعلهم يذكرون فيعرفون عظيم النعمة فيه (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج١٤، ص٢٢٢)، وقال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ذلك الذي ذكرت لكم أنّي أنزلته إليكم، أيها الناس، من اللباس والرياش، من حجج الله وأدلته التي يعلم بها مَنْ كفر صحة توحيد الله، وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة... جعلت ذلك لهم دليلا على ما وصفت، ليذكروا فيعتبروا وينيبوا إلى الحق وترك الباطل، رحمة مني بعبادي (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٢، ص٣٧٢)، وقال الزمخشري: ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ الدالة على فضله ورحمته على عباده. يعنى إنزال اللباس لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فيعرفوا عظيم النعمة فيه، وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها، إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأنّ التستر باب عظيم من أبواب التقوى (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٩٧)، وفي تفسير المنار (ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) أَيْ ذَلِكَ الَّذِي ذُكِرَ مِنْ نِعَمِ اللهِ بِإِنْزَالِ أَنْوَاعِ الْمَلَابِسِ الصُّورِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ مِنْ آيَاتِ اللهِ تَعَالَى وَدَلَائِلِ إِحْسَانِهِ إِلَى بَنِي آدَمَ وَكَثْرَةِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُعِدَّهُمْ وَتُؤَهِّلَهُمْ لِتَذَكُّرِ فَضْلِهِ وَمِنَنِهِ وَالْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ شُكْرِهَا، وَاتِّقَاءِ فِتْنَةِ الشَّيْطَانِ لَهُمْ بِإِبْدَاءِ الْعَوْرَاتِ تَارَةً وَبِالْإِسْرَافِ فِي الزِّينَةِ تَارَةً أُخْرَى(رضا، ١٩٩٠، ج٨، ص٣٢١)

وأما الموضع الثاني، وهو قوله تعالى: { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: ٤٧ – ٤٩] ففيها أيضًا من سوق الحجج والأدلة المناسبة للتدليل على أمر ما (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ) أَيْ صِنْفَيْنِ وَنَوْعَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: أَيْ ذَكَرًا وَأُنْثَى وَحُلْوًا وَحَامِضًا وَنَحْوَ ذَلِكَ،

وقال مُجَاهِدٌ: يَعْنِي الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَالنُّورَ وَالظَّلَامَ، وَالسَّهْلَ وَالْجَبَلَ، وَالْجِنَّ وَالْإِنْسَ، وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالْبُكْرَةَ وَالْعَشِيَّ، وَكَالْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ الألوان مِنَ الطُّعُومِ وَالْأَرَايِيحِ وَالْأَصْوَاتِ (القرطبي، ١٩٦٤، ج١٧، ص٥٣) وعند الطبري: ومن كلّ شيء خلقنا نوعين مختلفين كالشقاء والسعادة والهدى والضلالة، ونحو ذلك (الطبري، ٢٠٠٠، ج٢٢، ص٤٣٩)

ويلاحظ في هذا الأسلوب مناسبة الحجة لما تدلل عليها، بحيث يختار من الحجج ما يدلل على فكرته بشكل منطقي ومن أقصر طريق وفي أقل وقت، ويبدو هذا من خلال ما ذكره المفسرون من سبب اختيار دليل (خلق الزوجين أو الضدين) وهو التدليل على أحد أمرين: أحدهما: القدرة، وثانيهما: الوحدانية، يقول القرطبي: "أيْ جَعَلْنَا هَذَا كَهَذَا دَلَالَةً عَلَى قُدْرَتِنَا، وَمَنْ قَدَرَ عَلَى هَذَا فَلْيَقْدِرْ عَلَى الْإِعَادَةِ، وَقِيلَ: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ) لِتَعْلَمُوا أَنَّ خَالِقَ الْأَزْوَاجِ فَرْدٌ، فَلَا يُقَدَّرُ فِي صِفَتِهِ حَرَكَةٌ وَلَا سُكُونٌ، وَلَا ضِيَاءٌ وَلَا ظَلَامٌ، وَلَا قُعُودٌ وَلَا قِيَامٌ، وَلَا ابْتِدَاءٌ وَلَا انْتِهَاءٌ، إِذْ هُوَ عَزَّ وَجَلَّ وِتْرٌ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.) (القرطبي، ١٩٦٤، ج١٧، ص٥٣) ويقول الرازي: "لعلكم تذكرون أن خالق الأزواج لا يكون له زوج وإلا لكان ممكنا فيكون مخلوقا ولا يكون خالقا، أو لعلكم تذكرون أن خالق الأزواج لا يعجز عن حشر الأجسام وجمع الأرواح (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج٢٨، ص١٨٨)، ويقول الطبري: "وإنما نبه جلّ ثناؤه بذلك من قوله على قُدرته على خلق ما يشاء خلقه من شيء، وأنه ليس كالأشياء التي شأنها فعل نوع واحد دون خلافه، إذ كلّ ما صفته فعل نوع واحد دون ما عداه كالنار التي شأنها التسخين، ولا تصلح للتبريد، وكالثلج الذي شأنه التبريد، ولا يصلح للتسخين، فلا يجوز أن يوصف بالكمال، وإنما كمال المدح للقادر على فعل كلّ ما شاء فعله من الأشياء المختلفة والمتفقة، وقوله (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول: لتذكروا وتعتبروا بذلك، فتعلموا أيها المشركون بالله أن ربكم الذي يستوجب عليكم العبادة هو الذي يقدر على خلق الشيء وخلافه، وابتداع زوجين من كلّ شيء لا ما لا يقدر على ذلك (الطبري، ٢٠٠٠، ج٢٢، ص٤٤٠)

كما يلاحظ أيضًا أن الأدلة والحجج التي يسوقها المعلم أو المحاور أو الداعية ينبغي أن تكون أدلة مشاهدة معروفة ظاهرة للجميع لا يختلفون عليها، حتى يكون ذلك أكثر إقناعًا، يقول ابن عاشور: "وَهَذَا الِاسْتِدْلَالُ عَلَيْهِمْ بِخَلْقٍ يُشَاهِدُونَ كَيْفِيَّاتِهِ وَأَطْوَارَهُ كُلَّمَا لَفَتُوا أَبْصَارَهُمْ، وَقَدَحُوا أَفْكَارَهُمْ، وَهُوَ خَلْقُ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى لِيَكُونَ مِنْهُمَا إِنْشَاءُ خَلْقٍ جَدِيدٍ يَخْلُفُ مَا سَلَفَهُ وَذَلِكَ أَقْرَبُ تَمْثِيلٍ لِإِنْشَاءِ الْخَلْقِ بَعْدَ الْفَنَاءِ. وَهُوَ الْبَعْثُ الَّذِي أَنْكَرُوهُ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ تُقَرَّبُ بِمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ

أَحْوَالِ أَمْثَالِهَا، وَلِذَلِكَ أَتْبَعَهُ بِقَوْلِهِ: لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، أَيْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الْفُرُوقِ بَيْنَ الْمُمْكِنَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ، وَتَتَفَكَّرُونَ فِي مَرَاتِبِ الْإِمْكَانِ فَلَا يَخْتَلِطَ عَلَيْكُمُ الِاسْتِبْعَادُ وَقِلَّةُ الِاعْتِيَادِ بِالِاسْتِحَالَةِ فَتَتَوَهَّمُوا الْغَرِيبَ مُحَالًا. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٧، ص١٨)

ومن التطبيقات التربوية لهذا الأسلوب:

. أن لا يذكر المربون مبدأ أو حكما أو معلومة مجردة عن الأدلة والحجج، فهذه الأدلة والحجج مما يسهم في بقاء أثر التعلم ومقاومة النسيان، وزيادة الفهم، والاعتبار.

. أن يحرص الآباء على إقران توجيههم للأطفال بأدلة وحجج تناسب مستواهم العمري والعقلي.

ـ ضرورة اهتمام النظام التعليمي تنمية مهارات النقد والتقويم، وتدريب المتعلمين على القدرة على إقامة الحجة المدللة على الفكرة أو الرأي.

ـ أن تكون الأدلة والحجج ظاهرة ومشاهدة لا يُختلف عليها، حتى يكون ذلك أدعى للإقناع والاقتناع.

. تساق الحجج مخاطبة للعقل داعية له إلى التدبر والتأمل والقياس.

الأسلوب الرابع: ضرب الأمثال: وقد ورد هذا الأسلوب في ثلاث آيات كأسلوب من أساليب تحقيق غاية التذكر، وردت آيتان منها متضمنتين نص القاعدة، وهي: (أن ضرب الأمثال أسلوب من أساليب تحقيق التذكر)، وهما قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم:٢٤، ٢٥] وقوله تعالى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الزمر: ٢٧]، بينما جاءت الآية الثالثة بضرب مثل فعلي دون أن تذكر القاعدة السابقة، وهي قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: ٥٧]

والْمَثَلُ فِي اللُّغَةِ: الشَّبَهُ وَالشَّبِيهُ، وَضَرْبُهُ عِبَارَةٌ عَنْ إِيقَاعِهِ وَبَيَانِهِ، وَهُوَ فِي الْكَلَامِ أَنْ يُذْكَرَ لِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ مَا يُنَاسِبُهَا وَيُشَابِهُهَا وَيُظْهِرُ مِنْ حُسْنِهَا أَوْ قُبْحِهَا مَا كَانَ خَفِيًّا، وَلَمَّا كَانَ الْمُرَادُ بِهِ بَيَانَ الْأَحْوَالِ كَانَ قِصَّةً وَحِكَايَةً (رضا، ١٩٩٠، ج١، ص١٩٧)

ويسهم ضرب الأمثال في تحقيق غاية (التذكّر)، ويرجع ذلك إلى أن:

. في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني، وذلك لأن المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم، فإذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحس والخيال

والوهم تلك المنازعة وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب. (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج١٩، ص٩٢، ٩٣) فالْمَثَلَ يُقَرِّب الْمَعْنَى إِلَى الْأَذْهَانِ (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٧، ص٩٦) من خلال مثال واقعي مشاهد، من خلاله يمكن إدراك الأشياء غير المرئية أو المعنوية، ففي تفسير قوله "كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون" ضربتُ لكم، أيها القوم، هذا المثل الذي ذكرت لكم: من إحياء البلد الميت بقَطْر المطر الذي يأتي به السحاب الذي تنشره الرياح التي وصفت صفتها، لتعتبروا فتذكروا وتعلموا أن مَنْ كان ذلك من قدرته، فيسيرٌ في قدرته إحياء الموتى بعد فنائها، وإعادتها خلقًا سويًّا بعد دُرُوسها. (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٢، ص٤٩٣)، ويقول ابن عاشور: "كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى مُعْتَرِضَةٌ اسْتِطْرَادًا لِلْمَوْعِظَةِ وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَى تَقْرِيبِ الْبَعْثِ الَّذِي يَسْتَبْعِدُونَهُ، وَالْإِشَارَةُ بِ (كَذَلِكَ) إِلَى الْإِخْرَاجِ الْمُتَضَمِّنِ لَهُ فِعْلُ فَأَخْرَجْنا بِاعْتِبَارِ مَا قَبْلَهُ مِنْ كَوْنِ الْبَلَدِ مَيِّتًا، ثُمَّ إِحْيَائِهِ أَيْ إِحْيَاءِ مَا فِيهِ مِنْ أَثَرِ الزَّرْعِ وَالثَّمَرِ، فَوَجْهُ الشَّبَهِ هُوَ إِحْيَاءٌ بَعْدَ مَوْتٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ لِذَلِكَ الْإِحْيَاءِ كَيْفِيَّةً قَدَّرَهَا اللَّهُ وَأَجْمَلَ ذِكْرَهَا لِقُصُورِ الْإِفْهَامِ عَنْ تَصَوُّرِهَا.(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ٨–ب، ص١٨٣)

ـ فيه قصة وحكاية، فيجمع بين تأثير القصة وتأثير بلاغة المثل، وكلاهما من معينات التذكر.

ـ له تأثير وجداني، وهذا أدعى للتأثر العقلي والتذكر، يقول محمد عبده: وَاخْتِيرَ لَهُ لَفْظُ الضَّرْبِ لِأَنَّهُ يَأْتِي عِنْدَ إِرَادَةِ التَّأْثِيرِ وَهَيْجِ الِانْفِعَالِ، كَأَنَّ ضَارِبَ الْمَثَلِ يَقْرَعُ بِهِ أُذُنَ السَّامِعِ قَرْعًا يَنْفُذُ أَثَرُهُ إِلَى قَلْبِهِ، وَيَنْتَهِي إِلَى أَعْمَاقِ نَفْسِهِ (رضا، ١٩٩٠، ج١، ص١٩٧، ١٩٨)

ـ فيه تنمية لمهارات القياس، والملاحظة، وإدراك أوجه التشابه والاختلاف بين الأمور، قال الرازي: "المراد منه تذكر أنه لما لم يمتنع هذا المعنى في إحدى الصورتين وجب أن لا يمتنع في الصورة الأخرى"(الرازي، ١٤٢٠هـ، ج١٤، ص٢٩١)

وتشير الآيات أيضًا إلى أنه ينبغي للمربي إذا استخدم هذا الأسلوب أن يختار أفضل الأمثال وأنفعها، فقد قيل في تفسير الآيات: "أَيْ مِنْ كُلِّ أَشْرَفِ الْأَمْثَالِ، فَالْمَعْنَى: ذَكَرْنَا لِلنَّاسِ فِي الْقُرْآنِ أَمْثَالًا هِيَ بَعْضٌ مِنْ كُلِّ أَنْفَعِ الْأَمْثَالِ وَأَشْرَفِهَا، وَالْمُرَادُ: شَرَفُ نَفْعِهَا، وَخُصَّتْ أَمْثَالُ الْقُرْآنِ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ مَزَايَا الْقُرْآنِ لِأَجْلِ لَفْتِ بَصَائِرِهِمْ لِلتَّدَبُّرِ فِي نَاحِيَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ نَوَاحِي إِعْجَازِهِ وَهِيَ بَلَاغَةُ أَمْثَالِهِ، فَإِنَّ بُلَغَاءَهُمْ كَانُوا يَتَنَافَسُونَ فِي جَوْدَةِ الْأَمْثَالِ وَإِصَابَتِهَا الْمَحَزِّ مِنْ تَشْبِيهِ الْحَالَةِ بِالْحَالَةِ. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٣، ص٣٩٧)

ومن التطبيقات التربوية لهذا الأسلوب العمل على توعية المعلّمين بأهميته في تحقيق غاية (التذكر)، وتدريبهم على استخدامه، إذ تشير الدراسات إلى ضعف استخدام المعلمين لهذا الأسلوب في التربية رغم أهميته، وفسر ذلك بضعف اطلاعهم على الجدوى التربوية لضرب الأمثال (بن الحاج جلول، وآخرون، ٢٠١٨، ص٢٠١).

الأسلوب الخامس: الوصية بفعل الخير، والتزام القيم الإسلامية النبيلة، وترك الشر: وقد ورد هذا الأسلوب مرتين، إحداهما مقرونة بكلمة (وصّاكم)، والأخرى وصية دون ذكر (وصاكم)، فأما الأولى، فقوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: ١٥٢]، وأما الثانية، فقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النور: ٢٧]

والْوَصِيَّةُ: مَا يُعْهَدُ إِلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْمَلَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ تَرْكِ شَرٍّ بِمَا يُرْجَى تَأْثِيرُهُ، وَيُقَالُ: أَوْصَاهُ وَوَصَّاهُ، وَجَعَلَهَا الرَّاغِبُ عِبَارَةً عَمَّا يُطْلَبُ مِنْ عَمَلٍ مُقْتَرِنًا بِوَعْظٍ، وَأَصْلُ مَعْنَى " وَصَى " الثُّلَاثِيِّ " وَصَلَ"، وَمُوَاصَاةُ الشَّيْءِ مُوَاصَلَتُهُ. وَهُوَ خَاصٌّ بِالنَّافِعِ كَالْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ، يُقَالُ: وَصَى النَّبْتُ اتَّصَلَ وَكَثُرَ، وَأَرْضٌ وَاصِيَةُ النَّبَاتِ (رضا، ١٩٩٠، ج٨، ص١٦٦)

وتؤثر الوصية تربويًّا في مستمعها من خلال ما يلي:

. تذكر عاقبة الأمر، مما يؤدي إلى التذكر والاتعاظ: يقول الطبري في تفسير الآيات: "أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين، ووصاكم بها وعهد إليكم فيها، لتتذكروا عواقبَ أمركم، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون، فتنزجروا عنها، وترتدعوا وتُنيبوا إلى طاعة ربكم (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٢، ص ٢٢٦)، ويقول ابن كثير: "هَذَا وَصَّاكُمْ بِهِ، وَأَمَرَكُمْ بِهِ، وَأَكَّدَ عَلَيْكُمْ فِيهِ {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} أَيْ: تَتَّعِظُونَ وَتَنْتَهُونَ عَمَّا كُنْتُمْ فِيهِ قَبْلَ هَذَا (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٣، ص٣٦٥)

. كثرة ذكرها، وبالتالي تذكّرها، والعمل بها: فالوصية إذا كانت بأسلوب مؤثر من مرب يعرف كيفية استخدامها كأسلوب تربوي؛ فإن ذلك يؤدي إلى تكرار ذكرها وترديدها، وبالتالي يتم تذكرها ولا تنسى غالبًا، يقول رضا: "وَصَّاكُمُ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ رَجَاءَ أَنْ تَذْكُرُوا فِي أَنْفُسِكُمْ مَا فِيهَا مِنَ الصَّلَاحِ لَكُمْ، فَيَحْمِلَكُمْ ذَلِكَ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا، أَوْ رَجَاءَ أَنْ يُذَكِّرَهُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّوَاصِي الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ: (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) وَلِكُلٍّ مِنَ

الذِّكْرِ النَّفْسِيِّ وَاللِّسَانِيِّ وَجْهٌ هُنَا، وَلَا مَانِعَ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا ... وَكَذَا الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ مَعَانِي التَّذَكُّرِ... وَالْمَعْنَى: وَصَّاكُمْ بِهِ رَجَاءَ أَنْ يَتَكَلَّفَ ذِكْرَ هَذِهِ الْوَصَايَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَنَافِعِ مَنْ كَانَ كَثِيرَ النِّسْيَانِ وَالْغَفْلَةِ أَوْ كَثِيرَ الشَّوَاغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ – أَوْ رَجَاءَ أَنْ يَتَذَكَّرَهَا الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ مَنْ أَرَادَ الِانْتِفَاعَ بِهَا بِتِلَاوَةِ آيَاتِهَا فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا وَبِغَيْرِ ذَلِكَ – أَوْ رَجَاءَ أَنْ يَتَّعِظَ بِهَا مَنْ سَمِعَهَا وَقَرَأَهَا أَوْ ذَكَرَهَا أَوْ ذُكِّرَ بِهَا (رضا، ١٩٩٠، ج٨، ص١٧٠، ١٧١) ويقول طنطاوي: أرشدناكم إلى هذا الأدب السامي، وبيناه لكم، كي تعملوا به، وتكونوا دائما متذكرين له (طنطاوي، ١٩٩٨، ج١٠، ص١٠٩)

الأسلوب السادس: الوعظ بالحلال والحرام: وبالإضافة إلى الأساليب السابقة، يأتي أسلوب الوعظ كأحد الأساليب المسهمة في تحقيق غاية (التذكّر)، وذلك في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠]

والوعظ لغة مرادف للعِظةُ والعَظةُ والمَوْعِظةُ، وهو: النُّصْح والتذْكير بالعَواقِب؛ قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: هُوَ تَذْكِيرُكَ للإِنسان بِمَا يُلَيِّن قلبَه مِنْ ثَوَابٍ وعِقاب، واتَّعَظَ هُوَ: قَبِل الْمَوْعِظَة... وَيُقَالُ: السَّعِيدُ مَنْ وُعِظ بِغَيْرِهِ والشقيُّ مَنِ اتَّعَظ بِهِ غَيْرُهُ(ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج٧، ص٤٦٦).

فالوعظ هو النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب، ويبعث على العمل؛ أي ذلك الذي تقدم من الأحكام، والحدود المقرونة بالحكم والترغيب والترهيب يوعظ به أهل الإيمان بالله، والجزاء على الأعمال في الآخرة، فإن هؤلاء هم الذين يتقلبونه، ويتعظون به، فتخشع له قلوبهم ويتحرون العمل به قبولا لتأديب ربهم، وطلبا للانتفاع به في الدنيا، ورجاء في مثوبته ورضوانه في الأخرى. (النحلاوي، ٢٠٠٧، ص٢٢٦)، ويقول الشعراوي: الوعظ: تذكير بالحكم، فعندنا أولاً إعلام بالحكم لكي نعرفه، ولكنه عُرْضة لأنْ نغفلَ عنه، فيكون الوعظ والتذكير به، ونحتاج إلى تكرار ذلك حتى لا نغفل، وعادة لا تكون العِظَة إلا فيما له قيمة، وما دام الشيء له قيمة فلا تصطفي له إلا مَنْ تحب، كذلك الحق تبارك وتعالى يحب خَلْقه وصَنْعته؛ لذلك يَعِظهم ويُذكِّرهم باستمرار لكي يكونوا دائماً على الجادة ليتمتعوا بنعم المسبِّب في الآخرة، كما تمتعوا بنعمة الأسباب في الدنيا. (الشعراوي، ١٩٩٧، ج١٣، ص ٨١٧٢) ويشير هذا إلى أن:

. في الموعظة أصلا معنى (التذكير) وهو مما يسهم بشكل مباشر في تحقيق غاية (التذكر)

. تقوم الموعظة على إيراد خبرات الآخرين للاستفادة من إيجابياتها وتقويم سلبياتها.

. الموعظة تعتمد على التأثير الوجداني، في محاولة لـ (تليين) القلب فيستجيب مقتنعًا.

. الموعظة تكون فيما له قيمة، ولذا فهدفها غالبا هدف مزدوج يسعى للتحريض على الخير، والتنفير من الشر، يقول ابن عاشور: "وَالْوَعْظُ: كَلَامٌ يُقْصَدُ مِنْهُ إِبْعَادُ الْمُخَاطَبِ بِهِ عَنِ الْفَسَادِ وَتَحْرِيضُهُ عَلَى الصَّلَاحِ" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٤، ص٢٦٠)

. الوعظ دليل على الحب، فلا يعظ الإنسان إلا من يحبه ويحب له الخير.

ويعتمد الوعظ من الناحية النفسية، والتربوية على أمور أهمها:

. إيقاظ العواطف الأساسية التي رُبي الإنسان عليها: فالوعظ يتضمن إيقاظ عواطف ربانية كانت قد ربيت في نفس الناشئين كعاطفة الخضوع لله، والخوف من عذابه أو الرغبة في جنته، فيربي الوعظ هذه العواطف وينميها، وقد ينشؤها من جديد، وكذلك الاعتماد على التفكير الرباني السليم الذي كان الموعوظ قد ربي عليه، وهو التصور السليم للحياة الدنيا والآخرة، ودور الإنسان أو وظيفته في هذا الكون ونعم الله، وأنه خلق الكون والموت والحياة، وكذلك الاعتماد على الجماعة المؤمنة، فالمجتمع الصالح يوجد جوا يكون فيه الوعظ أشد تأثيرا وأبلغ في النفوس، لذلك جاءت معظم المواعظ القرآنية، والنبوية بصيغة الجماعة (النحلاوي، ٢٠٠٧، ص٢٢٩)

. أن الموعظة بخصائصها السابقة تكون أكثر بقاء في النفس من أساليب أخرى، وهذا أدعى للتذكر، يقول ابن عاشور: "والتذكر: مُرَاجعَة المنسيّ الْمَغْفُولِ عَنْهُ، أَيْ رَجَاءَ أَنْ تَتَذَكَّرُوا، أَيْ تَتَذَكَّرُوا بِهَذِهِ الْمَوْعِظَةِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ فَإِنَّهَا جَامِعَةٌ بَاقِيَةٌ فِي نفوسكم. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٤، ص٢٦٠)

ومن أهم آثار أسلوب الموعظة تزكية النفس وتطهيرها، وهو من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية، وبتحقيقه يسمو المجتمع، ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء، فلا يبغي أحد على أحد ويأتمر الجميع بأمر الله، بالمعروف والعدل والصلاح والبر، والإحسان وقد جمعت هذه المعاني في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ١٦/ ٩٠] . (النحلاوي، ٢٠٠٧، ص٢٢٩)

الأسلوب السابع: الإنذار: وبالإضافة إلى الأساليب السابقة يأتي أسلوب (الإنذار) كأحد الأساليب المسهمة في تحقيق غاية (التذكر)، وذلك في قوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: ٤٦]

ويقصد بالإنذار: التخويف بالعقاب على المعصية (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج٢٤، ص٦٠٤)، لكن هناك فرق بينه وبين التخويف، فالانذار تخويف مع إعلام موضع المخافة، من قولك: نذرت بالشئ إذا علمته فاستعددت له، فإذا خوّف الانسان غيره وأعلمه حال ما يخوفه به فقد أنذره، وإن لم يعلمه ذلك لم يقل أنذره... والإنذار إحسان من المنذر، وكلما كانت المخافة أشد كانت النعمة بالإنذار أعظم، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس منة بإنذاره لهم عقاب الله تعالى (أبو هلال العسكري، ١٤١٢هـ، ص ٧٨)

والْفرق بَين الْإِنْذَار وَالْوَصِيَّة؛ أَن الْإِنْذَار لَا يكون إِلَّا مِنْك لغيرك، وَتَكون الْوَصِيَّة مِنْك لنَفسك ولغيرك، تَقول: أوصيت نَفسِي كَمَا تقول أوصيت غَيْرِي وَلَا تَقول أنذرت نفسي، والإنذار يكون بالزجر عَن الْقَبِيح وَمَا يعْتَقده الْمُنْذر قبح، وَالْوَصِيَّة تكون بالْحسنِ(أبو هلال العسكري، ١٤١٢هـ، ص٧٨)

ويسهم الإنذار في تحقيق التذكر، من خلال استثارة النَّظَرُ الْعَقْلِيُّ فِي الْأَسْبَابِ الَّتِي دَعَتْ إِلَى حِكْمَةِ إِنْذَارِهِمْ وَهِيَ تَنَاهِي ضَلَالِهِمْ فَوْقَ جَمِيعِ الْأُمَمِ الضَّالَّةِ إِذْ جَمَعُوا إِلَى الْإِشْرَاكِ مَفَاسِدَ جَمَّةً مِنْ قَتْلِ النُّفُوسِ، وَارْتِزَاقٍ بِالْغَارَاتِ وَبِالْمُقَامَرَةِ، وَاخْتِلَاطِ الْأَنْسَابِ، وَانْتِهَاكِ الْأَعْرَاضِ. فَوَجَبَ تَذْكِيرُهُمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ حَالِهِمْ. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٠، ص١٣٤) فيكون الإنذار وسيلة للتذكر بتفصيل الخير فيفعلونه، والشر فيتركونه (السعدي، ٢٠٠٠، ص ٦١٧) إذ ينبغي عند إنذارهم أن يتذكروا خطأ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بربهم، فينيبوا إلى الإقرار لله بالوحدانية، وإفراده بالعبادة دون كلّ ما سواه من الآلهة (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٩، ص٥٨٦)

ومن الدلالات التربوية لهذه الأساليب السابقة وما بعدها؛ أن أساليب التربية في الإسلام ليست كلها متوازية زمنيًّا، فبعضها أحيانًا يأتي سابقًا على البعض الآخر، لأنه قد يتوقف استخدام بعضها على تلك الأساليب التي تم استخدامها قبلها، فعلى سبيل المثال، فإن العقوبة باعتبارها أسلوبًا تربويًّا ينبغي أن تُسبق بعدة أساليب أخرى قبل اللجوء إليها، ومن هذه الأساليب الإنذار بالعقاب.

الأسلوب الثامن: العقوبة: وقد ورد هذا الأسلوب كأحد أساليب تحقيق غاية (التذكر) في موضعين، الأول قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف: ١٣٠] والثاني قوله تعالى: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأنفال: ٥٧]

فالعقوبة في الآيتين أسلوب غايته (التذكّر)، لكن اختلف العقاب بين الآيتين، على صورتين، فكان في الأولى (العقاب بالحرمان من الضروريات)، وكان في الثانية (العقاب بإذاقة أو إشعار المسيء الألم):

الصورة الأولى: (العقوبة بالحرمان من الضروريات): ففي الآية الأولى، كان العقاب حرمانا وإنقاصًا من شيء محبوب، فحرموا المطر، وأنقصوا الثمر، إذ أخذوا بالسنين ونقص من الثمرات، والسنين جميع السنة، وهي على معنيين: أحدهما: الحول والعام، والآخر: الجدب، وهو خلاف الخصب، فمما أريد به الجدب هذه الآية (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج١٤، ص٣٤٣)، وعند الطبري: أخذهم الله بـ(السنين): بالجوع، عامًا فعامًا، (ونقص من الثمرات)، فأما "السنين" فكان ذلك في باديتهم وأهل مواشيهم، وأما "بنقص من الثمرات" فكان ذلك في أمصارهم وقراهم (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٣، ص٤٦)، فهذا كناية عن الحرمان من المرغوب بإنزال الشدائد والمصائب التي تمنعه، يقول رضا: "وَنَقْصُ الثَّمَرَاتِ نَصٌّ عَلَى شِدَّةِ الضِّيقِ فِي كُلِّ حَالٍ(رضا، ١٩٩٠، ج٩، ص٧٦) ، ويقول ابن عاشور: "وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ هُنَا مَجَازًا فِي الْإِصَابَةِ بِالشَّدَائِدِ"(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٩، ص٦٣)

الصورة الثانية: العقوبة بإنزال الألم وإلحاق الأذى: فكانت في الآية الثانية متمثلة في (العقوبة بالتشريد)، و"التشريد"، التطريد والتبديد والتفريق(الطبري، ٢٠٠٠، ج١٤، ص٢٢)، وقيل هو: التفريق مع الاضطراب، فمعنى الآية: أنك إن ظفرت في الحرب بهؤلاء الكفار الذين ينقضون العهد فافعل بهم فعلا يفرق بهم من خلفهم، قال عطاء: تثخن فيهم القتل حتى يخافك غيرهم، وقيل: نكل بهم تنكيلا يشرد غيرهم من ناقضي العهد، لعلهم يذكرون، أي لعل من خلفهم يذكرون ذلك النكال فيمنعهم ذلك عن نقض العهد (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج١٥، ص٤٩٧)

وهذه العقوبات من الأساليب التي تسهم في تحقيق غاية (التذكّر) بمعانيه المختلفة كالتعرف واستعادة المنسي والتدبر لأخذ العبرة وغيرها، فإنزال العقوبة يسهم في رجوعهم عن طريقة التمرد والعناد إلى الانقياد والعبودية، كما أن إنزال العقوبة أيضًا يجعل المعاقَب يتذكر ما كان، وما صار، فيتدبر لينتبه إلى أن ما حدث كان بسبب معصية أو تقصير، فيعود إلى سابق عهده، فتؤثر فيهم العقوبة وفي غيرهم من جوانب عدة:

ـ التذكير بالله: فالإنسان في حالة الرخاء قد ينسى خالقه، فتأتي العقوبات والشدائد لتذكره بخالقه، فمن طبيعة البشر أنه ينسون الله فِي وَقْتِ الرَّخَاءِ؛ لِأَنَّهُ غَيْبٌ لَا يُرَى، وتأتي الشدائد لتذكّرهم به سبحانه، لِأَنَّهَا مُشَاهَدَةٌ لهم يشعرون بها (رضا، ١٩٩٠، ج٩، ص٧٦)

ـ التذكير بالضعف البشري: يَتَذَكَّرُونَ ضَعْفَهُمْ أَمَامَ قُوَّةِ اللهِ وَعَجْزِ مَلِكِهِمُ الْجَبَّارِ الْمُتَغَطْرِسِ وَعَجْزِ آلِهَتِهِمْ، وَلَعَلَّهُمْ إِذَا تَذَكَّرُوا اعْتَبَرُوا وَاتَّعَظُوا فَرَجَعُوا عَنْ ظُلْمِهِمْ(رضا، ١٩٩٠، ج٩، ص٧٦)

ـ التنبيه العقلي والنفسي: فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَنْبِيهٌ لِلْأُمَّةِ لِلنَّظَرِ فِيمَا يُحِيطُ بِهَا مِنْ دَلَائِلِ غَضَبِ اللَّهِ، فَإِنَّ سَلْبَ النِّعْمَةِ لِلْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ تَنْبِيهٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِمْ إِعْرَاضَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُمْ. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٩، ص٦٤)

ـ تربيتهم ووقاية لغيرهم من الوقوع في نفس خطئهم: فإن إنزال العقوبة بالمخطئ يعد رادعًا لغيره ووقاية له من الوقوع في نفس الخطأ عندما يتذكر ما أحل بالمخطئ من عقاب، ففي آية الأنفال: "تَذَكُّرُ حَالَةِ الْمُثْقَفِينَ فِي الْحَرْبِ الَّتِي انْجَرَّتْ لَهُمْ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ، أَيْ لَعَلَّ مَنْ خَلْفَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ مَا حَلَّ بِنَاقِضِي الْعَهْدِ مِنَ النَّكَالِ، فَلَا يُقْدِمُوا عَلَى نَقْضِ الْعَهْدِ، فَآلَ مَعْنَى التَّذَكُّرِ إِلَى لَازِمِهِ وَهُوَ الِاتِّعَاظُ وَالِاعْتِبَارُ(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٠، ص٥١)، وقال الطبري: "كي يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم، فيحذروا نقضَ العهد الذي بينك وبينهم خوفَ أن ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء إذا هم نقضوه" (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٤، ص٢٤) وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ بِالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ، وَالْإِثْخَانِ فِيهِمْ لِتَرْبِيَتِهِمْ، وَاعْتِبَارِ أَمْثَالِهِمْ بِحَالِهِمْ دُونَ حُبِّ الْحَرْبِ أَوِ الطَّمَعِ فِي غَنَائِمِهَا، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ أَيْ: لَعَلَّ مَنْ خَلْفَهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ يَتَّعِظُونَ وَيَعْتَبِرُونَ، فَلَا يُقْدِمُونَ عَلَى الْقِتَالِ، وَلَا يَعُودُ الْمُعَاهِدُ مِنْهُمْ لِنَقْضِ الْعَهْدِ وَنَكْثِ الْأَيْمَانَ (رضا، ١٩٩٠، ج١٠، ص٤٤)، فَكَانَ فِي هَذَا الْإِغْلَاظِ عَلَى النَّاكِثِينَ تَحْرِيضٌ عَلَى عُقُوبَتِهِمْ، لِأَنَّهُمُ اسْتَحَقُّوهَا، وَفِي ذَلِكَ رَحْمَةٌ لِغَيْرِهِمْ لِأَنَّهُ يَصُدُّ أَمْثَالَهُمْ عَنِ النَّكْثِ وَيَكْفِي الْمُؤْمِنِينَ شَرَّ النَّاكِثِينَ الْخَائِنِينَ (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٠، ص٥٠)

فالعقوبة أسلوب تربوي وليس انتقاميًّا، وتأثيره التربوي لا يقتصر على المعاقب فقط، بل يتعداه إلى الآخرين الذين يرون العقوبة فيتعظوا بها، ولذا شرع الله في بعض العقوبات أن يشهدها طائفة من المؤمنين للاتعاظ والوقاية من الوقوع في نفس الخطأ.

والعقوبة في الإسلام رحمة بالمعاقب والمشاهد للعقوبة، لأنها تمنع المعاقب من التمادي في خطئه، وتقي المجتمع من أخطائه، وترحم الآخرين من الوقوع في نفس الخطأ.

وتجدر الإشارة إلى أن أسلوب العقاب له تأثير كبير في تذكر الإنسان وتدبره واتعاظه، وقد يرجع ذلك إلى أحد أمرين:

ـ أن العقوبات والشدائد تؤثر في النواحي الوجدانية، فتجعل القلب أكثر رقة، وترقي من الإحساس، وبالتالي تدفع المعاقب إلى اللجوء إلى من ينقذه من هذه الشدة، ولن يجد من يقوم بهذا الدور خيرا ممن أنزل العقاب به، خاصة إذا كان منزل العقاب إلها رحيما حليما، يقول الرازي: "إن أحوال الشدة ترقق القلب وترغب فيما عند الله، والدليل عليه قوله تعالى: وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه [الإسراء: ٦٧] وقوله: وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض [فصلت: ٥١] (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج١٤، ص٣٤٤)، ويقول الزمخشري: "الناس في حال الشدّة أضرع خدودا وألين أعطافا وأرق أفئدة، وقيل: عاش فرعون أربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلاثمائة وعشرين سنة، ولو أصابه في تلك المدّة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية. (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص١٤٤)، ويقول رضا: " فَإِنَّ الشَّدَائِدَ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُرَقِّقَ الْقُلُوبَ، وَتُهَذِّبَ الطِّبَاعَ، وَتُوَجِّهَ الْأَنْفُسَ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالتَّضَرُّعِ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ الَّتِي اتُّخِذَتْ فِي الْأَصْلِ وَسَائِلَ إِلَيْهِ وَشُفَعَاءَ عِنْدَهُ(رضا، ١٩٩٠، ج٩، ص٧٦)

ـ أَنَّ اللَّهَ نَصَبَ الْعَلَامَاتِ لِلِاهْتِدَاءِ إِلَى الْخَفِيَّاتِ... فَشَأْنُ أَهْلِ الْأَلْبَابِ أَنْ يَتَذَكَّرُوا، فَإِذَا لَمْ يَتَذَكَّرُوا، فَقَدْ خَيَّبُوا ظَنَّ مَنْ يَظُنُّ بِهِمْ ذَلِكَ (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٩، ص٦٤)

وبعد العرض السابق لغاية (التذكر) يمكن القول إن هذه الغاية يمكن تحقيقها . كما أشارت الآيات المختومة بصيغة الرجاء . بعدة أساليب، هي: توافر محتوى يتسم بـ (البصيرة . الهدى . الرحمة . التيسير بلغة مفهومة وعلى لسان معلم فصيح)، وتوضيح الآيات بـ (التبيين . التوصيل)، وسوق الحجج والأدلة، وضرب الأمثال، الوصية، والوعظ، والإنذار والوعيد، العقوبة، كما يوضحها الشكل التالي:

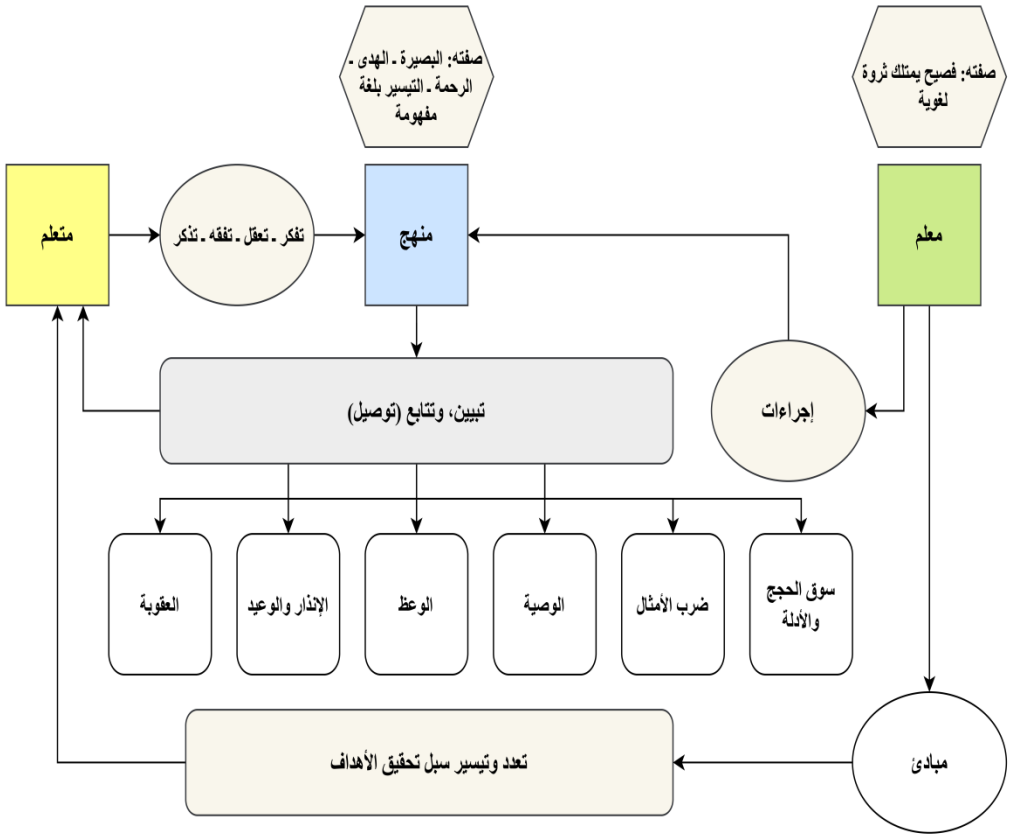

شكل (٤) منهجية تحقيق غاية (التذكر)

رابعا: غاية (التفقه):

الْفِقْه: هُوَ الْعلم بالشَّيْء والفهم لَهُ والفطنة، وَفقه: فهم، وسبق غَيره بالفهم، وصَار الْفِقْه لَهُ سجية، وَالْفِقْه فِي الْعرف: الْوُقُوف على الْمَعْنى الْخَفي الذي يتَعَلَّق بِهِ الحكم، وَإِلَيْهِ يُشِير قَوْلهم: هُوَ التَّوَصُّل إِلَى علم غَائِب بِعلم شَاهد أَعنِي أَنه تعقل وعثور يعقب الإحساس والشعور فَنقل اصْطِلَاحا إِلَى مَا يخص بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة والفرعية عَن أدلتها التفصيلية، فَخرج الاعتقاديات، وَهُوَ الْفِقْه الْأَكْبَر الْمُسَمّى بِعلم أصُول الدّين، والخلقيات الْمُسَمّى بِعلم الْأَخْلَاق والآداب، وَقيل: الْفِقْه فِي الِاصْطِلَاح عبارَة عَن الْعلم بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة العملية، المكتسب من الْأَدِلَّة التفصيلية لتِلْك الْأَحْكَام (الكفوي، د.ت، ص٦٩٠، ٦٩١)

والفرق بين الفقه والعلم: أن الفقه هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله، ولهذا لا يقال إن الله يفقه لأنه لا يوصف بالتأمل، وتقول لمن تخاطبه: تفقه ما أقوله أي تأمله لتعرفه...وسمي علم

الشرع فقها لأنه مبني على معرفة كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. (أبو هلال العسكري، ١٤١٢هـ، ص٤١٢، ٤١٣)

فالتفقه هو التأمل في المعرفة لإحكام فهمها، ويمكن تحقيقه من خلال أسلوب واحد كما يوضحه الجدول التالي:

جدول (٧) أسلوب تحقيق غاية (التفقه)

م	الأسلوب	التكرار	الآيات
١	توضيح الآيات بالتصريف	١	{ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ } [الأنعام: ٦٥]
المجموع		١	

يتضح من الجدول السابق أن غاية (التفقه) يمكن تحقيقها من خلال أسلوب واحد، هو **توضيح الآيات بالتصريف (التنويع)**، وذلك في قوله تعالى: { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} [الأنعام: ٦٥]، ويراد بتصريف الآيات:

. تكرار الحجج والأدلة: يقول الطبري: ""انظر كيف نصرف الآيات": انظر كيف نتابع عليهم الحجج، ونضرب لهم الأمثال والعبر، ليعتبروا ويذكروا فينيبوا (الطبري، ٢٠٠٠، ج١١، ص٣٦٥)

. تنويع الأساليب: يقول رضا: أَيِ: انْظُرْ كَيْفَ نُنَوِّعُ الْحُجَجَ وَالْبَيِّنَاتِ الْكَثِيرَةِ وَنَجْعَلُهَا عَلَى وُجُوهٍ شَتَّى (رضا، ١٩٩٠، ج٧، ص٣٤٩)، ويقول أيضًا: كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَالدَّلَائِلَ فَنَجْعَلُهَا عَلَى أَنْحَاءٍ شَتَّى، مِنْهَا مَا طَرِيقُهُ الْحِسُّ، وَمِنْهَا مَا طَرِيقُهُ الْعَقْلُ، وَمِنْهَا مَا طَرِيقُهُ عِلْمُ الْغَيْبِ – لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ الْحَقَّ، وَيُدْرِكُونَ كُنْهَ الْأَمْرِ، فَإِنَّ الْفِقْهَ هُوَ فَهْمُ الشَّيْءِ بِدَلِيلِهِ وَعِلَّتِهِ، الْمُفْضِي إِلَى الِاعْتِبَارِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَإِنَّمَا يُرْجَى تَحْصِيلُهُ بِتَصَرُّفِ الْآيَاتِ وَتَنْوِيعِ الْبَيِّنَاتِ (رضا، ١٩٩٠، ج٧، ص٤١٠)، ويقول الخلوتي: "انْظُرْ يا محمد كَيْفَ نُصَرِّفُ لهم الْآيَاتِ القرآنية من حال إلى حال بالوعد والوعيد، أى نبين لهم آية على إثر آية ونوردها على وجوه مختلفة من أول السورة إلى هنا كى يفقهوا ويقفوا على جلية الأمر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد"(الخلوتي، د.ت، ج٣، ص٤٨)

ويمكن أن يستفاد من هذا التصريف تربويًّا باستخدام أساليب عرض مختلفة للمادة العلمية، منها ما يعتمد على الحس، ومنها ما يعتمد على العقل، ومنها ما يعتمد على الإخبار عن الغيبيات، وقد يفتح هذا التنوع أو التصريف المجال للتخيل والإبداع، فهذا التنوع مما يسهم في تحقيق غاية (التفقه) لتحقيق نواتج التعلم المستهدفة.

وفي هذا التنويع في أساليب العرض، مراعاة للفروق الفردية بين المتعلمين، ومحاولة الوصول إلى الطريقة المناسبة لكل منهم: يقول رضا: "وَكَذَلِكَ نَصَرِّفُ الْآيَاتِ عَلَى أَنْوَاعٍ شَتَّى لِيَهْتَدِيَ بِهَا الْمُسْتَعِدُّونَ لِلْإِيمَانِ عَلَى اخْتِلَافِ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ" (رضا، ١٩٩٠، ج٧، ص٥٤٩) فمراعاة الفروق الفردية، الهدف منه إفادة جميع المتعلمين، لتحقيق العدل التربوي بينهم، فالمعلم الجيد هو الذي لا يركز في تعليميه على الفائقين المتميزين، ويهمل في تربيته ما عداهم، بل يحاول أن يصل إلى كل منهم حسب قدراته، ووسيلته في هذا (تصريف الآيات)، بمعنى تنويع أساليب العرض "قال القاضي: هذا يدل على أنه تعالى أراد بتصريف هذه الآيات وتقرير هذه البينات، أن يفهم الكل تلك الدلائل ويفقه الكل تلك البينات" (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج١٣، ص٢١)

ومن التطبيقات التربوية لهذا الأسلوب: الاهتمام في العملية التعليمية بالتنويع في أساليب وطرائق عرض الدرس، التنويع في الأدلة والأمثلة، التنويع في نبرة الصوت، والتنويع في طرق التدريبات والتمرينات، وهذا التنوع يسهم في مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين فينمو (تفقههم) في المنهج الذي يقدم إليهم.

تعقيب عام على الغايات التربوية البنائية التنموية (التفكر . التعقل . التذكر . التفقه):

. الغايات الأربع تهتم بالقدرات العقلية للمتعلم، وتعلي من قيمة العقل وتعمل على تنشيطه وتنمية قدراته.

. . أسلوب توضيح الآيات، أسلوب مشترك في تحقيق الغايات الأربع.

. أسلوب (ضرب الأمثال) مشترك بين غايتي (التفكر) و (التذكر).

. أسلوب (الوصية) مشترك بين غايتي (التقل) و (التذكر)

هذه الغايات قريبة في المعنى من بعضها، رغم وجود فروق دقيقة بينها، ولذا قد تفيد إحداهما ما تفيده الأخرى.

. اجتهد البعض في بيان الفروق بين بعض هذه المفاهيم، ويمكن عرض هذه الفروق فيما يلي:

. **الفرق بين التدبر والتفكر**: التدبر: تصرف القلب بالنظر في عواقب الأمور، والتفكر: تصرف القلب بالنظر في الدلائل (أبو هلال العسكري، ١٤١٢هـ، ص١٢١)

الفرق بين التفكر والتذكر: التفكر يكون في المجهول ليصل إلى شيء جديد، والتذكر يكون في المعلوم ليرسخن يقول ابن القيم: "وكل من التَّذَكُّر والتفكر لَهُ فَائِدَة غير فَائِدَة الاخر فالتذكر يُفِيد تكْرَار الْقلب على مَا علمه وعرفه ليرسخ فِيهِ وَيثبت وَلَا ينمحي فَيذْهب أثره من الْقلب جملَة، والتفكر يُفِيد تَكْثِير الْعلم واستجلاب مَا لَيْسَ حَاصِلا عِنْد الْقلب فالتفكر يحصله والتذكر يحفظه، وَلِهَذَا قَالَ الْحسن: مَا زَالَ اهل الْعلم يعودون بالتذكر على التفكر وبالتفكر على التَّذَكُّر ويناطقون الْقُلُوب حَتَّى نطقت بالحكمة... فالخير والسعادة فِي خزانَة مفتاحها التفكر، فَإِنَّهُ لَا بُد من تفكر وَعلم يكون نتيجته الْفِكر، وَحَال يحدث للقلب من ذَلِك الْعلم...وَتلك الْحَال توجب لَهُ إِرَادَة، وَتلك الإرادة توجب وُقُوع الْعَمَل، فها هُنَا خَمْسَة أمور: الْفِكر وثمرته الْعلم، وثمرتهما الْحَالة الَّتِي تحدث للقلب، وَثَمَرَة ذَلِك الإرادة، وثمرتها الْعلم، فالفكر إِذا هُوَ المبدأ والمفتاح لِلْخَيْرَاتِ كلهَا. (ابن قيم الجوزية، د.ت، ج١، ص١٨٣) ، ويستفاد من هذا تربويا بأهمية الممارسة، وأن التعلم يحتاج إلى مذاكرة مستمرة، وأن الإنسان إذا تفكر ولم يتذكر فإن ما تفكر فيه قد يصاب بالخمول، وإنما المذاكرة تنشط الأفكار.

العلاقة بين (التفكر، والتعقل، والتذكر): التفكر طلب الوصول إلى شيء غير حاصل، والتعقل تحصله وضبطه بعد الوصول إليه، والتذكر ترسيخ واعتبار: قال ابن القيم: "فَاعْلَم ان التفكر طلب الْقلب مَا لَيْسَ بحاصل من الْعُلُوم من أمْر هُوَ حَاصِل مِنْهَا... فالمتفكر ينْتَقل من الْمُقدمَات والمبادئ الَّتِي عِنْده إلى الْمَطْلُوب الَّذِي يُرِيدهُ، فَإِذا ظفر بِهِ وَتحصل لَهُ؛ تذكر بِهِ وأبصر مواقع الْفِعْل وَالتّرْك وَمَا يَنْبَغِي إيثاره وَمَا يَنْبَغِي اجتنابه، فالتذكر هُوَ مَقْصُود التفكر وثمرته، فَإِذا تذكر عَاد بتذكرة على تفكره فاستخرج مَا لم يكن حَاصِلا عِنْده، فَهُوَ لَا يزَال يُكَرر بتفكره على تذكره وبتذكره على تفكره مَا دَامَ عَاقِلا (ابن قيم الجوزية، د.ت، ج١، ص٢١٣، ٢١٤)

فالتفكر هو تصرف القلب في مقدمات الأمور ليصل إلى شيء جديد كان مجهولا بالنسبة له، فتتولد (فكرة) وهذه هي المرحلة الأولى، وتأتي بعدها المرحلة الثانية وهي (التعقل) لهذه الفكرة التي تم توليدها نتيجة عملية التفكر، وبما أن العقل في معناه اللغوي: (الحبس والضبط)، فيعني (تعقل الفكرة) أمرين، الأول: أن يمسكها ويحبسها داخله فتصبح موجودة في عقله وقلبه، والثاني: أن الفكرة (تعقله) أي تضبط سلوكه فلا يتصرف تصرفًا سلبيا وإلا قيل عنه

(مجنون) رغم وجود عقله، إلا أن الفكرة لما لم تضبط سلوكه قد ينفى العقل عنه، وبعد أن يصل الإنسان من مرحلة (التفكر) إلى (التعقل) وتصير الفكر موجودة داخله، تأتي المرحلة الثالثة وهي (التذكر)، ويعني التذكر الاحتفاظ بالشيء لكيلا يُنسى، أو استحضار ما مضى وذكره بعد نسيانه، فالتذكر يتعامل مع أمر موجود فعلا لكيلا ينساه أو مع أمر نساه لكي يتذكره، ولذا ارتبط (التذكر) و (الذكرى) بمعنى آخر غلب عليهما وهو (الاتعاظ والاعتبار)

ومما يؤكد هذا الترتيب في هذه الغايات، أمران:

الأول: وجود الترتيب في آية واحدة، وهي قوله تعالى: {وَالْأَرْض مددناها وألقينا فِيهَا رواسي وأنبتنا فِيهَا من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب} يقول ابن القيم معلقا على الآية: "فالتبصرة التعقل، والتذكرة التَّذَكُّر، والفكر بَاب ذَلِك ومدخله، فَإِذا فكر تبصر وَإِذا تبصر تذكر فجَاء التَّذْكِير فِي الآية لترتيبه على الْعقل الْمُرَتّب على الْفِكر فَقدم الْفِكر إِذْ هُوَ الْبَاب والمدخل، ووسط الْعقل إِذْ هُوَ ثَمَرَة الْفِكر ونتيجته، وَأخر التَّذَكُّر إِذْ هُوَ الْمَطْلُوب من الْفِكر وَالْعقل، فَتَأمل ذَلِك حق التَّأَمُّل...التفكر والتذكر أصل الْهدى والفلاح (ابن قيم الجوزية، د.ت، ج١، ص٢١٣)

الثاني: وجود نفس الترتيب في آيات متتالية في سورة النحل، وهو ترتيب بين الغايات البنائية وبعض الغايات الوسطى أيضا، في إشارة إلى ما سبق وأن ذكرته الدراسة من أن الغايات البنائية تسهم مع غيرها في تحقيق بقية الغايات، ففي سورة النحل جاءت الغايات مرتبة من (التفكر) ثم (التعقل)، ثم (التذكر)، ثم (الشكر)، ثم (الهداية)، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)} [النحل: ١٠ – ١٥]

وبعد العرض السابق للغايات البنائية التنموية؛ تسعى الدراسة فيما تبقى منها إلى عرض الغايات البنائية التقويمية.

(٢) الغايات البنائية التقويمية:

وتأتي هذه الأساليب كتقويم لسلوكيات الإنسان، وتتمثل في (تصحيح المسار، والتضرع، والكف أو الانتهاء).

أولا: غاية تصحيح المسار (الرجوع إلى الفطرة):

تسعى التربية الإسلامية إلى هداية الإنسان للطريق المستقيم الذي ينبغي أن يسير فيه وفق منهج لا ريب فيه، ولذا قال الله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢]، لكن قد يصيب الإنسان أثناء سعيه في الحياة بعض القصور أو الانحراف عن الطريق السوي المرسوم وفق المنهج القرآني، وهنا يكون للتربية الإسلامية دور آخر تقويمي يتمثل في تصحيح مسار من قصر أو ضل؛ لتعيده إلى الفطرة الأولى التي خُلق عليها، وقد عبر القرآن عن هذا التصحيح للمسار بـ (الرجوع)، قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١] في إشارة إلى أن بداية كل مخلوق هي الفطرة التي ينبغي أن يكمل حياته وفق أسسها ومبادئها، وإذا انحرف عنها كان لزامًا على النظام التربوي أن يسعى لتصحيح مساره برجوعه مرة أخرى إلى المنهج السوي المتمثل في (الفطرة).

وهذا الرجوع أو تعديل المسار يكون في الإسلام بالتوبة والإنابة، وترك المعاصي الطارئة، والرجوع إلى الطاعة الفطرية الأساسية، ففي تفاسير قوله تعالى (لعلهم يرجعون) ما يشير إلى هذا، يقول الرازي: وقوله: يرجعون، يريد كي يتوبوا (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج١٥، ص٣٩٥)، وعن الطبري: ليرجعوا إلى طاعة ربهم وينيبوا إليها، ويتوبوا من معاصيه (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٣، ص٢٠٩)، وفي المنار: رَجَاءَ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ ذَنْبِهِمْ، وَيُنِيبُوا إِلَى رَبِّهِمْ، فَيَعُودَ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ...وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ مِنَ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَمِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، (رضا، ١٩٩٠، ج٩، ص٣٢٢، ٣٣٧)، وفي التحرير والتنوير: الرجوع يعني التَّوْبَةِ والْإِذْعَانِ وَالِاعْتِرَافِ (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٩، ص١٥٨، ج٢٥، ص٢٢٦)

وتشير الآيات . وفق رأي المعتزلة . إلى أن الله تعالى يريد الإيمان من الجميع، وأنه لا يريد أن يعذب أحدًا، فهو رغم توضيحه المنهج ومنحه الإنسان العقل بقدراته القادرة على التمييز، وإرسال الرسل للتوضيح، وضع منهجًا ليرد المنحرف عن طريق انحرافه، وفق منهجية محكمة متدرجة؛ إرادة منه سبحانه أن يؤمن الجميع، يقول الرازي: "وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون، أي عن الكفر إلى الإيمان، قالت المعتزلة: هذا يدل على أنه تعالى يريد الإيمان من الكل،

وأنه إنما أظهر تلك المعجزات القاهرة لإرادة أن يرجعوا من الكفر إلى الإيمان"(الرازي، ١٤٢٠هـ، ج٢٧، ص٦٣٦)

وتشير الآيات القرآنية إلى مجموعة من الأساليب التي يمكن من خلالها تحقيق غاية (تصحيح المسار) ورجوع الإنسان إلى الفطرة بتوبته وإنابته، كما يوضحها الجدول التالي:

جدول (٨) أساليب تحقيق غاية تصحيح المسار (الرجوع إلى الفطرة)

م	الأسلوب	التكرار	الآيات
١	توضيح الآيات بالتفصيل والتصريف	٢	{وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأعراف: ١٧٤]
			{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الأحقاف: ٢٧]
٢	الابتلاء بالحسنات والسيئات	١	{وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأعراف: ١٦٨]
٣	العقوبة	٣	{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١]
			. {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [السجدة: ٢١]
			. {وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الزخرف: ٤٨]
المجموع		٦	

الأسلوب الأول: توضيح الآيات بالتفصيل وبالتصريف: من خلال ما سبق من غايات في الدراسة؛ يلاحظ أن توضيح الآيات ورد بعدة صيغ هي (التبيين، والمشاهدة الحسية، والتوصيل، والتفصيل، والتصريف)، وقد جاء أسلوب توضيح الآيات المحقق لغاية (تصحيح المسار) بصيغتي (التفصيل، والتصريف).

الصورة الأولى: توضيح الآيات بالتفصيل: وذلك في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأعراف: ١٧٤]، ويعني توضيح الآيات بـ (التفصيل) اشتمال المحتوى على أحكام وحكم، وحجج ومواعظ وعبر، ففي تفسير المنار: "وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِمَا فِي تَفْصِيلِهَا مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْحِكَمِ، وَبَيَانِ الْحُجَجِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ... وَهَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي فَصَّلَهَا هِيَ الَّتِي بَيَّنَهَا فِي كِتَابِهِ مِنْ أَنْوَاعِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهِيَ آيَاتٌ أُفُقِيَّةٌ وَنَفْسِيَّةٌ، آيَاتٌ فِي نُفُوسِهِمْ وَذَوَاتِهِمْ وَخُلُقِهِمْ، وَآيَاتٌ فِي الْأَقْطَارِ وَالنَّوَاحِي مِمَّا يُحْدِثُهُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وُجُودِهِ

وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَصِدْقِ رُسُلِهِ، وَعَلَى الْمَعَادِ وَالْقِيَامَةِ (رضا، ١٩٩٠، ج٧، ص٣٧٧، ج٩، ص٣٣٧)

ويسهم تفصيل الآيات بهذا الشكل في تيسير فهمها، فيهتدي بها من تؤهله قدراته للاهتداء، وحينها يتذكر ما هو عليه من خطأ، ويبصر الطريق الصحيح مرة أخرى، فيرجع إلى سابق عهده مصححًا مساره، وفي تفسير المنار: "وَمِثْلُ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ الْوَاضِحِ وَعَلَى نَحْوِهِ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ الْمُنَزَّلَةِ فِي بَيَانِ الْحَقَائِقِ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا أَهْلُ النَّظَرِ الصَّحِيحِ وَالْفِقْهِ الدَّقِيقِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْعِبْرَةِ"(رضا، ١٩٩٠، ج٧، ص٣٧٦)، ويقول أيضًا: "وَبِمِثْلِ هَذَا التَّفْصِيلِ الْبَلِيغِ نُفَصِّلُ لِبَنِي آدَمَ الْآيَاتِ وَالدَّلَائِلَ، لِيَسْتَعْمِلُوا عُقُولَهُمْ، وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ بِهَا عَنْ جَهْلِهِمْ وَتَقْلِيدِهِمْ" (رضا، ١٩٩٠، ج٩، ص٣٢٦)، ومما سبق يمكن القول:

إن الخطوة الأولى لتصحيح المسار أو تعديل السلوك تكمن في أسلوب (التوضيح وسوق الأدلة والحكم)، ولذا فإن على المربي أن لا يبادر بالعقاب أو حتى الإنذار، بل يبدأ أولا بتوضيح الصواب والخطأ وإقامة الحجج والأدلة على الخطأ، فلا عقاب قبل التربية بالشرح والتوضيح المفصل، وقد تشير كلمة (التفصيل) إلى أن المربي لا يوضح مجرد توضيح، وإنما عليه أن يوضح توضيحًا مفصلا يزيل كل غموض قد يكون سببًا في التقصير أو الانحراف، وفي هذا الإطار تشير دراسة(Obadire & Sinthumule, 2021) إلى أن من أهم أساليب ضبط المتعلم والتي تسبق العقاب أن يقوم الآباء باعتبارهم أول مدرسين بغرس القيم والأخلاق لأبنائهم حتى يميزوا الصواب من الخطأ.

. إن تصحيح المسار لا يكون بالإجبار أو القهر، وإنما يكون بسوق حجج وأدلة تحترم عقلية الفرد وتحافظ على كرامته الإنسانية، فيتم التفصيل له، وتركه يستعمل عقله فيما سيق له من تفصيل ليتخذ قرارا حرًّا بالرجوع إلى الفضيلة، فيكون رجوعه رجوع المتعقل المتفكر المتذكر الحر، مما يسهم في صدق رجوعه وبقاء أثر تعلمه.

ومن التطبيقات التربوية لهذه الصورة؛ أن لا يتسرع المعلمون في عقاب المخطئ، بل يبدؤون أولا بتفصيل الأمور له بالحكمة والأحكام، وأن يحرص الآباء والأمهات في تعديل سلوك أبنائهم على بيان الإيجابيات والسلبيات بيانا تفصيليا، فالوصول إلى الفضيلة باختيار أبقى أثرا وأكثر صدقًا من الوصول إليها بالإكراه.

الصورة الثانية: توضيح الآيات بـ (التصريف): وذلك في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الأحقاف: ٢٧]، فإذا كانت الصورة الأولى

(توضيح الآيات بالتفصيل) يقصد بها بيان الحكم والأحكام والأدلة، فإن الصورة الثانية، وهي (توضيح الآيات بالتصريف) تعني أمرين زائدين عن معنى التفصيل، وهما: التكرار، والتنويع، وهي مرحلة أكبر من مرحلة (التفصيل)، فلا يكتفى في تصحيح المسار بالتفصيل، بل بأن يتم تكرار هذا التفصيل مرة بعد مرة، وكذلك تنويع الأدلة والحجج وأساليب التفصيل والتوضيح.

وتشير التفاسير إلى هذا المعنى لتصريف الآيات، ففي روح البيان: "وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ التي يعتبر بها، أى كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر وفى كشف الأسرار، وصرفنا الآيات بتكرير ذكرها وإعادة أقاصيص الأمم الخالية بتكذيبها وشركها... لكى يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي، لأنها أسباب الرجوع إلى التوحيد والطاعة (الخلوتي، د.ت، ج٨، ص٤٨٥)، وفي التحرير والتنوير: "وَتَصْرِيفُ الْآيَاتِ تَنْوِيعُهَا بِاعْتِبَارِ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ مِنْهَا ...وَأَصْلُ مَعْنَى التَّصْرِيفِ التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ؛ لِأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الصَّرْفِ وَهُوَ الْإِبْعَادُ، وَكُنِّيَ بِهِ هُنَا عَنِ التَّبْيِينِ وَالتَّوْضِيحِ لِأَنَّ تَعَدُّدَ أَنْوَاعِ الْأَدِلَّةِ يَزِيدُ الْمَقْصُودَ وُضُوحًا، وَمَعْنَى تَنْوِيعِ الْآيَاتِ أَنَّهَا تَارَةً تَكُونُ بِالْحُجَّةِ وَالْمُجَادَلَةِ النَّظَرِيَّةِ، وَتَارَةً بِالتَّهْدِيدِ عَلَى الْفِعْلِ، وَأُخْرَى بِالْوَعِيدِ، وَمَرَّةً بِالتَّذْكِيرِ بِالنِّعَمِ وَشُكْرِهَا" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢٦، ص٥٤، ٥٥)، وفي الطبري: "(وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ) يقول: ووعظناهم بأنواع العظات، وذكرناهم بضروب من الذِّكْر والحجج، وبيَّنا لهم ذلك (الطبري، ٢٠٠٠، ج٢٢، ص١٣٢)، ومما سبق يمكن القول إن:

. تعديل سلوك المتعلم أو تصحيح مسار الفرد يتطلب صبرًا، فلا يكتفى بشرح الموقف وتفصيله مرة واحدة، بل يتطلب الأمر تكرار الشرح والتوضيح مرة بعد مرة.

ـ على المربي الذي يقوم بتعديل سلوك متعلم ما؛ أن ينوع طرائق تعديله السلوك، ويستخدم منها ما يتناسب مع الموقف، فينوع ما بين المناقشة، والتهديد، والوعيد، والتذكير، وغيرها.

الأسلوب الثاني: الابتلاء بالحسنات والسيئات (الترغيب والترهيب): وإضافة إلى الأسلوب الأول من أساليب تصحيح المسار؛ يمكن استخدام أسلوب آخر، هو الابتلاء بالحسنات والسيئات، أو الترغيب والترهيب، وقد يفهم هذا الأسلوب من قوله تعالى: {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأعراف: ١٦٨]

ومعنى الابتلاء بالحسنات والسيئات: أي عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بالحسنات، وهي النعم والخصب والعافية، والسيئات هي الجدب والشدائد...وكل واحد من الحسنات والسيئات يدعو إلى الطاعة، أما النعم فلأجل الترغيب، وأما النقم فلأجل الترهيب (الرازي، ١٤٢٠هـ،

ج١٥، ص٣٩٥)، ويقول الطبري: "واختبرناهم بالرخاء في العيش، والخفض في الدنيا والدعة، والسعة في الرزق، وهي الحسنات" التي ذكرها جل ثناؤه ويعني بـ"السيئات": الشدة في العيش، والشظف فيه، والمصائب والرزايا في الأموال (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٣، ص٢٠٨، ٢٠٩) وعند ابن كثير: {وَبَلَوْنَاهُمْ} أَيِ: اخْتَبَرْنَاهُمْ {بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ} أَيْ: بِالرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْبَلَاءِ" (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٣، ص٤٩٨)

والابتلاء بالحسنات، أو المعاملة الطيبة من المربي؛ قد يجعل المخطئ يرجع عن خطئه استجابة للمربي واحتراما لما أفاض به عليه من خيرات وحسن معاملة، وأما الابتلاء بالسيئات أو الشدة في المعاملة أحيانًا؛ فإنها تبدو للمتعلم شيئا سيئا وتصيبه بالألم، ولكن يلجأ إليه المربون لما لتأثيرها وثمرتها من إصلاح وتعديل للسلوك، ففي تفسير المنار: "امْتَحَنَّاهُمْ، وَبَلَوْنَا سَرَائِرَهُمْ وَاسْتِعْدَادَهُمْ بِالنِّعَمِ الَّتِي تَحْسُنُ، وَتَقَرُّ بِهَا الْأَعْيُنُ، وَبِالنِّقَمِ الَّتِي تَسُوءُ صَاحِبَهَا، وَرُبَّمَا حَسُنَتْ بِالصَّبْرِ وَالْإِنَابَةِ عَوَاقِبُهَا" (رضا، ١٩٩٠، ج٩، ص٣٢٢)، ومما سبق يمكن القول إن:

. من أساليب تصحيح المسار التنويع في المعاملة ما بين الترغيب والترهيب، خاصة مع تلك النفوس المختلفة التي لا يصلحها جميعا شيء واحد، إذ منها ما يؤثر فيه الترغيب، ومنها ما يؤثر فيه الترهيب.

. وجود نماذج من الثواب والعقاب، أو من المصائر السعيدة والمصائر الشقية يضع أمام عقل الفرد وقلبه هذه الأمثلة المختلفة في المآل والمبنية على أن هناك مقدمات تؤدي إلى نتائج، فيستخدم الفرد عقله فيها متفكرًا ليعرف إلى أي مصير هو سائر، فيتعقل ويتذكر، ثم يعدل سلوكه ويصحح مساره.

. مازالت تلك الأساليب تحترم عقلية الفرد وآدميته وتعلي من كرامته، وتترك له الفرصة ليقرر مختارًا مصيره بعد تبيين الأدلة له، وترغيبه وترهيبه.

الأسلوب الثالث: العقوبة: وبعد أسلوبي (توضيح الآيات بالتفصيل والتصريف)، و (والابتلاء بالحسنات والسيئات) يأتي أسلوب (العقوبة) في تدرج محكم لتصحيح المسار، فلا يبدأ بعقاب طالما الشخصية التي يتم التعامل معها شخصية سوية يؤثر فيها أساليب أخرى غير العقاب، أما العقاب فهو من الأساليب التى يُلجأ إليها حين لا يكون الإنسان المعاقب سوي الخلق، بل يكون بليد الطبع، متمرد السلوك، ولا ينفع معه أسلوب التربية الهادئ، ولا التقويم المتزن، فبعد أن يفرغ المربي من أساليب الحوار والمناقشة، والموعظة والنصح والترغيب والترهيب والثواب

مع من يربيه ولم يجد في ذلك نفعًا فإنه يُلْجأ إلى أسلوب العقاب، جزاءً وفاقًا (محمد، ٢٠٠٠، ص٢٦٠)

وقد وردت العقوبة كأسلوب لتصحيح المسار، في ثلاث آيات، وذلك في قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١]، وقوله تعالى: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة: ٢١]، وقوله تعالى: {وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الزخرف: ٤٨]

وجاءت العقوبة في الآيات الثلاث متدرجة، من (الإذاقة من جنس الخطأ)، إلى (الإذاقة من العذاب الأدنى)، ثم إلى (الأخذ بالعذاب):

الصورة الأولى: الإذاقة من جنس الخطأ: وهي العقوبة الجزئية على ما عملوا من جنس ما عملوه، فالله قد خلق العالم بنظام محكَم، فأفسد الناس فيه عندما خالفوا المنهج الإلهي، فكان العقاب أن يصيبهم هذا الفساد بالأذى عقوبة لهم، يقول الله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١]، فالإذاقة هنا "اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ، شَبَّهَ مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْآلَامِ فَيُحِسُّونَ بِهَا بِإِصَابَةِ الطَّعَامِ حَاسَّةَ الْمَطْعَمِ، وَلَمَّا كَانَ مَا عَمِلُوهُ لَا يُصِيبُهُمْ بِعَيْنِهِ تَعَيَّنَ أَنَّ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا أُطْلِقَ عَلَى جَزَاءِ الْعَمَلِ وَلِذَلِكَ فَالْبَعْضِيَّةُ تَبْعِيضٌ لِلْجَزَاءِ، فَالْمُرَادُ بَعْضُ الْجَزَاءِ عَلَى جَمِيعِ الْعَمَلِ لَا الْجَزَاءُ عَلَى بَعْضِ الْعَمَلِ، أَيْ أَنَّ مَا يُذِيقُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ هُوَ بَعْضُ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ، وَفِي هَذَا تَهْدِيدٌ إِنْ لَمْ يُقْلِعُوا عَنْ مَسَاوِئِ أَعْمَالِهِمْ" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٢١، ص١١٣)

الصورة الثانية: الإذاقة من العذاب الأدنى: وقد تكون هذه درجة أعلى في العقوبة من درجة (الإذاقة من جنس الخطأ)، ففي حالة لم يتفكر المجتمع ولم يصحح من مساره بعد عقوبته من جنس خطئه وفساده، تأتي درجة أخرى في العقوبة، وهي مساوية للأولى في نفس الدرجة (الإذاقة) ولكنها من نوع عقوبة أكبر منها، إذ هي هنا (عقوبة بالعذاب) لا (عقوبة بالفساد)، وذلك في قوله تعالى: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة: ٢١]، والعذاب الأدنى هنا معناه: مصائب الدنيا في الأنفس والأموال، بأسقامها وبلائها مما يبتلي الله بها العباد حتى يتوبوا، فهو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدّة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى (الطبري، ٢٠٠٠، ج٢٠، ص١٨٨: ١٩٢)

فالعذاب الأدنى الدنيوي الذي ورد في الآية يتصف بصفتي (القرب)، و (الصغر) فهو قريب وقليل صغير، وأما العذاب الأكبر الأخروي، فيتصف بصفتي (البُعد) و (العِظم) فهو بعيد عظيم كثير، لكن القرب في عذاب الدنيا هو الذي يصلح للتخويف به، فإن العذاب العاجل وإن كان قليلا قد يحترز منه بعض الناس أكثر مما يحترز من العذاب الشديد إذا كان آجلا، وكذا الثواب العاجل قد يرغب فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الآجل(الرازي، ١٤٢٠هـ، ج٢٥، ص١٤٨)، ويشير هذا إلى أن التعزيز الفوري أكثر تحفيزًا وتشجيعًا مهما قلت قيمته، وأن العقاب الفوري أكثر ردعًا مهما قلت قوته، ولذا توصي الدراسات التربوية بأهمية التعزيز الفوري خاصة إذا تم الوعد به من قبْل حتى يتمكن المتعلم من إدراك العلاقة بين التعزيز والسلوك المعزّز (Langa, 2014. P.8)

وتشير الآية وتفاسيرها إلى أن العقوبة ينبغي أن تكون على مراحل ودرجات، وذلك لأن الهدف منها تربية النفوس وترقيق القلوب وتقويم السلوك، وليس الانتقام أو الإيذاء، ولذا ينبغي أن يتم استخدام أسلوب (العقاب) وفق مراحل متدرجة من الأهون إلى الهين إلى الكبير إلى الأكبر، فإن استجاب المخطئ وقوّم سلوكه، فلا داعي لعقاب أكبر، يقول ابن عاشور: "إنَّ اللَّـهَ قَدَّمَ لَهُمْ عَذَابًا هَيِّنًا قَبْلَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ، كَمَا قَالَ: وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [السَّجْدَة: ٢١] وَهَذَا مِنْ فَرْطِ رَحْمَتِهِ الْمُمَازِجَةِ لِمُقْتَضَى حِكْمَتِهِ، وَفِيهِ إِنْذَارٌ لِقُرَيْشٍ بِأَنَّهُمْ سَيُصِيبُهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ قَبْلَ الِاسْتِئْصَالِ، وَهُوَ اسْتِئْصَالُ السَّيْفِ" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٧، ص٢٢٧، ٢٢٨)

الصورة الثالثة: الأخذ بالعذاب: وقد تكون هذه درجة أعلى في العقوبة من درجتي (الإذاقة من جنس الخطأ)، و (الإذاقة من العذاب الأدنى)، إذ كلمة (الأخذ) أشد في العقوبة من كلمة (الإذاقة) ففي حالة لم يتفكر المجتمع ولم يصحح من مساره بعد المرحلتين السابقتين، تأتي مرحلة (الأخذ بالعذاب)، وهي درجة مختلفة في المقدار والنوع من الأولى، وفي المقدار من الثانية، وذلك في قوله تعالى: {وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الزخرف: ٤٨] ومعناه في الآية: أخذهم بالسنين، ونقص من الثمرات، وبالجراد، والقمل، والضفادع، والدم (الطبري، ٢٠٠٠، ج٢١، ص٦١٥)، وهي عقوبات أشد وأكبر من العقوبة بإذاقة الفساد، وبإذاقة العذاب الأدنى من الأمراض والأسقام.

وبعد العرض السابق لغاية (تصحيح المسار) أو (الرجوع) وفق التعبير القرآني؛ وأساليب تحقيقها؛ يمكن قول ما يلي:

. (التدرج) مبدأ مهم في تعديل السلوك وتصحيح المسار، فيبدأ أولا بتوضيح الآيات بالتفصيل، ثم توضيحها بالتصريف، ثم بالترغيب والترهيب، وأخيرا تأتي العقوبة، ومن الخطأ تربويًا أن يبدأ المربي بالعقوبة قبل الشرح والتوضيح والبيان والترغيب والترهيب.

ـ العقوبة أيضا يتم استخدامها كأسلوب تربوي وفق مبدأ (التدرج)، ففي الآيات (إذاقة من الفساد)، ثم (لإذاقة من العذاب الأدنى)، ثم (أخذ بالعذاب)، وآيات عذاب متعددة متنوعة، (كل آية أكبر من أختها)، في إشارة إلى أهمية البداية بأسلوب عقاب هين، فإن أتى ثماره فلا داعي للأسلوب الأكبر منه، إلا إذا لم يؤثر في نفس المخطئ فيتم استخدام أسلوب أكبر منه وفق مبدأ (التدرج)، ومن الخطأ تربويًا أن يبدأ المربي بأسلوب العقوبة الشديدة قبل أسلوب العقوبة الهين، ولذا فإن كثيرا من الآباء والأمهات الذين بدأوا في عقوبة أبنائهم بما ينبغي أن يُنتهى به عند الضرورة وهو (الضرب) يعانون من فشل هذا الأسلوب رغم كثرة استخدامه في تعديل السلوك، وقد يرجع هذا إلى ضعف وعيهم بأهمية التدرج في أساليب العقاب من (الأدنى) إلى (الأكبر).

يتضح مما سبق أن لغاية (تصحيح المسار)، عدة أساليب تسهم في تحقيقها، تتمثل في بتوضيح الآيات بالتفصيل، ثم توضيحها بالتصريف، ثم بالترغيب والترهيب، وأخيرا تأتي العقوبة، لكي يرجع المخطئ عن خطئه وينيب ويتضرع إلى الله أن يقبل توبته.

ثانيا: غاية التضرع:

تأتي الغاية الثانية من الغايات البنائية التقويمية، وهي غاية (التضرع)، ويقصد به: الذلة والاستكانة والخشوع لله، والانقياد لأوامره، ففي تفسير الطبري: التضرع هو"التفعل" من"الضراعة"، وهي الذلة والاستكانة (الطبري، ٢٠٠٠، ج١١، ص٣٥٥)، وعند ابن كثير: "{لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} أَيْ: يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ وَيَخْشَعُونَ...وَيَبْتَهِلُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كَشْفِ مَا نَزَلَ بِهِمْ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: أَنَّهُ ابْتَلَاهُمْ بِالشِّدَّةِ لِيَتَضَرَّعُوا (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٣، ص٢٥٦، ٤٤٩) وعند الزمخشري: "لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم" (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٢٣)، ويقول الرازي: "التضرع: التخشع، وهو عبارة عن الانقياد وترك التمرد، وأصله من الضراعة وهي الذلة، يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة فهو ضارع أي ذليل ضعيف" (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج١٢، ص٥٣٣)

وبتتبع غاية (التضرع) في القرآن الكريم، يتضح أنها ارتبطت بأسلوب واحد لتحقيقها، وهو (العقوبة بالبأساء والضراء)، كما يوضحه الجدول التالي:

جدول (٩) أساليب تحقيق غاية (التضرع)

م	الأسلوب	التكرار	الآيات
١	العقوبة بالبأساء والضراء	٢	{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} [الأنعام: ٤٢]،
			{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ } [الأعراف: ٩٤]
المجموع		٢	

العقوبة بالبأساء والضراء: وقد ورد هذا الأسلوب في آيتين، الأولى، قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} [الأنعام: ٤٢]، والثانية، قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ } [الأعراف: ٩٤]، فتمثلت العقوبة المسهمة في تحقيق (التضرع) في (البأساء): شدة الفقر من البؤس (والضراء): الأمراض والأوجاع (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج١٢، ص٥٣٣)

والهدف من العقوبة بالبأساء والضراء كان (التضرع)، فقوله:"لعلهم يتضرعون" يقول: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إليّ، ويخلصوا لي العبادة، ويُفْردوا رغبتهم إليَّ دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إليّ بالإنابة (الطبري، ٢٠٠٠، ج١١، ص٣٥٥)

وتؤكد تفاسير هذه الآية ما سبق استنتاجه في غايات سابقة، من أن العقوبة لا يتم استخدامها كأسلوب تربوي قبل أساليب أخرى، كالبيان والنصيحة والوعظ والإنذار، يقول الطبري: فأمرناهم ونهيناهم، فكذبوا رسلنا، وخالفوا أمرنا ونهينا، فامتحناهم بالابتلاء"بالبأساء"،"والضراء" (الطبري، ٢٠٠٠، ج١١، ص٣٥٤)

والعقاب ذو تأثير تربوي في نفس المعاقب، نظرًا لأمرين:

الأول: لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ – بِحَسَبِ طِبَاعِ الْبَشَرِ وَأَخْلَاقِهِمْ – مِنَ التَّضَرُّعِ وَالْجُؤَارِ بِالدُّعَاءِ لِرَبِّهِمْ، إِذْ مَضَتْ سُنَّةُ اللهِ بِجَعْلِ الشَّدَائِدِ مُرَبِّيَةً لِلنَّاسِ بِمَا تُرْجِعُ الْمَغْرُورِينَ عَنْ غُرُورِهِمْ، وَتَكُفُّ الْفُجَّارَ عَنْ فُجُورِهِمْ (رضا، ١٩٩٠، ج٧، ص٣٤٥، ٣٤٦)، وَمِمَّا ثَبَتَ بِالتَّجَارِبِ وَتَقَرَّرَ عِنْدَ عُلَمَاءِ النَّفْسِ وَالْأَخْلَاقِ أَنَّ الشَّدَائِدَ وَمَلَاحِجَ الْأُمُورِ مِمَّا يُرَبِّي النَّاسَ، وَيُصْلِحُ مِنْ فَسَادِهِمْ، فَالْمُؤْمِنُ قَدْ يَشْغَلُهُ الرَّخَاءُ وَهَنَاءُ الْعَيْشِ فَيُنْسِيهِ ضَعْفَهُ وَحَاجَتَهُ إِلَى رَبِّهِ، وَالشَّدَائِدُ تُذَكِّرُهُ بِهِ، وَالْكَافِرُ بِالنِّعَمِ قَدْ يَعْرِفُ قِيمَتَهَا بِفَقْدِهَا، فَيَنْقَلِبُ شَاكِرًا بَعْدَ عَوْدِهَا، بَلِ الْكَافِرُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ تَنَبَّهَ الشَّدَائِدَ وَالْأَهْوَالَ مَرْكَزَ الشُّعُورِ بِوُجُودِ الرَّبِّ الْخَالِقِ الْمُدَبِّرِ لِأُمُورِ الْخَلْقِ فِي دِمَاغِهِ،

وَتَذَكُّرِهِ بِمَا أَوْدَعَ فِي فِطْرَتِهِ مِنْ وُجُودِ مَصْدَرٍ لِنِظَامِ الْكَوْنِ وَأَقْدَارِهِ، كَمَا وَقَعَ كَثِيرًا... وَقَدْ رُوِيَ لَنَا أَنَّ الْحَرْبَ الْعُظْمَى قَدْ كَانَ لَهَا هَذَا التَّأْثِيرُ حَتَّى فِي أَقَلِّ النَّاسِ تَدَيُّنًا، وَهُمْ أَهْلُ مَدِينَةِ بَارِيسَ، فَكَانَتِ الْمَعَابِدُ تُرَى مُكْتَظَّةً بِالْمُصَلِّينَ فِي أَثْنَاءِ شَدَائِدِ الْحَرْبِ (رضا، ١٩٩٠، ج٩، ص١٤، ١٥)

الثاني: أن الله يأخذهم بِمَا يُغَيِّرُ حَالَهُمُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مِنْ رَخَاءٍ وَصِحَّةٍ عَسَى أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ سَلْبَ النِّعْمَةِ عَنْهُمْ أَمَارَةٌ عَلَى غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ جَرَّاءِ تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُمْ...وَهَذِهِ عَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَنْبِيهِ عِبَادِهِ (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٩، ص١٨، ١٩)

وَالْآيَةُ تُفِيدُ أَنَّ الْبَأْسَاءَ وَالضَّرَّاءَ، وَمَا يُقَابِلُهُمَا مِنَ السَّرَّاءِ وَالنَّعْمَاءِ مِمَّا يَتَرَبَّى وَيَتَهَذَّبُ بِهِ الْمُوَفَّقُونَ مِنَ النَّاسِ، وَإِلَّا كَانَتِ النِّعَمُ أَشَدَّ وَبَالًا عَلَيْهِمْ مِنَ النِّقَمِ وَهَذَا ثَابِتٌ بِالِاخْتِبَارِ، فَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ الشَّدَائِدَ مُصْلِحَةٌ لِلْفَسَادِ، وَأَجْدَرُ النَّاسِ بِالِاسْتِفَادَةِ مِنَ الْحَوَادِثِ الْمُؤْمِنُ، كَمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ صُهَيْبٍ مَرْفُوعًا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ(رضا، ١٩٩٠، ج٧، ص٣٤٧)

وقد يستفاد تربويًا من هذه الغاية بعدم الاستجابة لكل مطالب الأطفال وتلبيتها، إذ الحرمان من بعضها قد يعد تربية وتدريبا للنفس على تحمل المشاق والصعاب والتجهيز لمواجهة أي أزمات أو عقبات، كما يعد إشعارًا بقيمة ما يمتلكه مما يربيه على المحافظة عليه.

وتفيد تفاسير الآيتين أيضًا إلى أن من العقوبات ما يعتبر مؤهلا وممهدًا لأمر ما، يقول رضا: "وَ"مَا أَرْسَلْنَا نَبِيًّا فِي قَوْمِهِ إِلَّا وَقَدْ أَنْزَلْنَا بِهِمُ الشَّدَائِدَ وَالْمَصَائِبَ بَعْدَ إِرْسَالِهِ أَوْ قُبَيْلَهُ، لِنَعُدَّهُمْ وَنُؤَهِّلَهُمْ بِهَا لِلتَّضَرُّعِ، وَهُوَ إِظْهَارُ الضَّرَاعَةِ؛ أَيِ الضَّعْفِ وَالْخُضُوعِ لَنَا وَالْإِخْلَاصِ فِي دُعَائِنَا بِكَشْفِهَا، فَـ " لَعَلَّ " تُفِيدُ الْإِعْدَادَ لِلشَّيْءِ، وَجَعْلَهُ مَرْجُوًّا(رضا، ١٩٩٠، ج٩، ص١٤، ١٥)

ويشير هذا الأسلوب أيضًا إلى أن القرآن الكريم يعلي من قيمة العقل، وينمي مهاراته، فَإِنَّهُ سبحانه وتعالى يُحِبُّ مِنْ عباده التَّوَسُّمَ فِي الْأَشْيَاءِ وَالِاسْتِدْلَالَ بِالْعَقْلِ وَالنَّظَرَ بِالْمُسَبَّبَاتِ عَلَى الْأَسْبَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ [التَّوْبَة: ١٢٦] لِأَنَّ اللَّهَ لَمَّا وَهَبَ الْإِنْسَانَ الْعَقْلَ فَقَدْ أَحَبَّ مِنْهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ فِيمَا يَبْلُغُ بِهِ الْكَمَالَ وَيَقِيهِ الضَّلَالَ. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٩، ص١٩)

يتضح مما سبق أن غاية (التضرع) من الغايات البنائية التقويمية، ويمكن تحقيقها من خلال أسلوب العقوبة المربية.

ثالثا: غاية الكف (الانتهاء):

ويقصد بالكف: فعل ما يستوجب انتهاء المخطئ عن خطئه، فيكف عنه، وقد عبر القرآن عنه بقوله (لعلهم ينتهون)، في قوله تعالى: {وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ } [التوبة: ١٢]، ومعناها: ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم أن تكون المقاتلة سببًا في انتهائهم عما هم عليه من الكفر (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج١٥، ص٥٣٥)، ويقول ابن كثير: "أَيْ: يَرْجِعُونَ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ وَالضَّلَالِ"(ابن كثير، ١٩٩٩، ج٤، ص١١٦) وفي التحرير والتنوير: لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ عَنِ الْكُفْرِ (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٠، ص١٣١)

وبتتبع غاية (الكف/ الانتهاء) في الآيات المختومة بصيغة الرجاء في القرآن الكريم، يمكن القول إن هذه الغاية يمكن تحقيقها من خلال أسلوب واحد يوضحه الجدول الآتي:

جدول (١٠) أسلوب تحقيق غاية (الكف . الانتهاء)

م	الأسلوب	التكرار	الآيات
١	علاج السبب لا العرض	١	{وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ } [التوبة: ١٢]
المجموع		١	

يتضح من الجدول السابق؛ أنه يمكن تحقيق غاية (الكف) من خلال أسلوب: **علاج السبب لا العرض:** فالانتهاء والتوقف عن الخطأ، يمكن تحقيقه في حالة علاج السبب، وعدم الاكتفاء بعلاج العرض فقط، ولذلك أمر الإسلام بقتال قيادات الكفر، لأنهم هم المحرضون عليه والمسيطرون على أتباعهم، يقول الرازي: "فقاتلوا أئمة الكفر معناه: قاتلوا الكفار بأسرهم، إلا أنه تعالى خص الأئمة والسادة منهم بالذكر، لأنهم هم الذين يحرضون الأتباع على هذه الأعمال الباطلة" (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج١٥، ص٥٣٥) ولذا قصد النبي ρ بالدعوة عظماء الأمم وملوكها وأمراءها؛ لأنهم أصحاب السلطة التي تأبى العقائد الجديدة، وقد تبين بالتجربة بعد التجربة، أن السلطة هي التي كانت تحول دون الدعوة المحمدية، وليست أفكار مفكرين ولا مذاهب حكماء، وأن امتناع المقاومة من هؤلاء العظماء والملوك كانت تمنع العوائق التي تصد الدعوة الإسلامية. (العقاد، ٢٠٠٣، ص٤٠)

كما تشير الآية إلى سمو الغايات في الإسلام وتجردها عن المصالح الشخصية، ففي تفسير المنار: "لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ أَيْ: قَاتِلُوهُمْ رَاجِينَ بِقِتَالِكُمْ إِيَّاهُمْ أَنْ يَنْتَهُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ وَمَا يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ نَكْثِ أَيْمَانِهِمْ، وَنَقْضِ عُهُودِهِمْ، وَالضَّرَاوَةِ بِقِتَالِكُمْ كُلَّمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ النَّهْيَ عَنِ الْقِتَالِ اتِّبَاعًا لِهَوَى النَّفْسِ أَوْ إِرَادَةَ مَنَافِعَ الدُّنْيَا مِنْ سَلْبٍ وَكَسْبٍ وَانْتِقَامٍ مَحْضٍ بِالْأَوْلَى... وَهَذَا مِمَّا امْتَازَ بِهِ الْإِسْلَامُ عَلَى جَمِيعِ شَرَائِعِ الْأُمَمِ وَقَوَانِينِهَا مِنْ جَعْلِ الْحَرْبِ ضَرُورَةً مُقَيَّدَةً بِإِرَادَةِ مَنْعِ الْبَاطِلِ، وَتَقْرِيرِ الْحَقِّ وَالْفَضَائِلِ" (رضا، ١٩٩٠، ج١٠، ص١٧٣، ١٧٤)

يتضح مما سبق أن غاية (الكف)، يمكن تحقيقها من خلال علاج السبب لا العرض، ويمكن أن يستفاد من هذا في مجال التربية والتعليم بأن يحرص المربون ومتخذو القرار على البحث عن جذور المشكلات وأسبابها الحقيقية، من أجل التغلب عليها، وأن الاكتفاء بعلاج الأعراض على حساب الأسباب لا يؤدي إلى النتائج المرجوة، ومن أهم المشكلات التعليمية التي يتم معها علاج العرض لا السبب؛ مشكلة الدروس الخصوصية وتحولها إلى الأصل في النظام التعليمي على حساب التعليم بالمدارس، فينبغي على صانعي القرار أن يعالجوا السبب، ويوفروا نظامًا تعليميًا في المدارس يغني الأسر والمعلمين عن الدروس الخصوصية من خلال توفير عدد من المدارس مناسبًا لأعداد الطلاب تقليلا للكثافة الصفية، وتوفير عدد من المعلمين أيضا لهذه الأعداد، وأن يكون للمعلم راتب يكفيه ليعيش حياة كريمة ويكون مسوغًا لمحاسبته على تقصيره، فتتوفر مؤسسة تعليمية تحقق الأهداف.

أهم نتائج الدراسة: بعد العرض السابق للغايات التربوية البنائية في الآيات المختومة بصيغة الرجاء في القرآن الكريم، يمكن تلخيص أهم نتائج الدراسة فيما يأتي:

أولا: نتائج عامة:

(١) الغايات التربوية التي وردت في الآيات المنتهية بـ (لعلهم . لعلكم) في القرآن الكريم، بلغت (١٥) غاية، يمكن تصنيفها في ثلاثة مستويات: مستوى الغايات البنائية، ويقصد به تلك الغايات التربوية التي تسهم في بناء الشخصية المسلمة السوية، وهي عبارة عن أساليب تنموية تسهم في تنمية القدرات العقلية والمعرفية، وهي: (التفكر . التعقّل . التذكر . التفقه)، وأساليب تقويمية تسهم في علاج بعض السلوكيات الخاطئة وتهذيب النفس، وهي: (تصحيح المسار . التضرع . الانتهاء أو الكف)، وهذه الغايات البنائية السبع تسهم مع غيرها في تحقيق غايات وسطى، تتمثل في (التقوى . الهداية .

الحذر . الشكر . الإسلام . الإيمان بلقاء الله)، ومن خلال هذه الغايات وغيرها يمكن أن تتحقق الغايات النهائية والمتمثلة في (نوال الرحمة . الفلاح).

(٢) وردت هذه الغايات (٩٥) مرة في القرآن الكريم، بمعدل (٣٩) مرة للغايات البنائية، و (٣٩) مرة أيضا للغايات الوسطى، و(١٧) مرة للغايات الكبرى.

(٣) تكررت الغايات البنائية، (٣٩) مرة، منها (٣٠) مرة للغايات التأسيسية التنموية، و(٩) مرات للغايات التقويمية العلاجية.

(٤). بلغت هذه الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في تحقيق الغايات التربوية الخمسة عشر؛ ستا وعشرين أسلوبًا، منها أساليب مشتركة يمكن من خلالها تحقيق أكثر من غاية، وتمثلت الأساليب المشتركة في أحد عشر أسلوبًا، هي: وجود معلم وكتاب أو أحدهما . وجود محتوى يتسم بـ (البصيرة . التمام ـ الهدى . الرحمة . التيسير باللغة الأم . تنوع الأساليب) . توضيح الآيات (تبيين . تصريف . تفصيل . توصيل . تجريب) . الإنذار والوعيد . الثواب والعقاب . الوعظ . الوصية . ضرب الأمثال . التقوى . الطاعة والاتباع . العبادة والبر.

(٥) أكثر الأساليب المشتركة في تحقيق الغايات، هو أسلوب (توضيح الآيات بتبيينها وتصريفها وتفصيلها وتوصيلها وتجريبها)، إذ جاء ست عشرة مرة كأسلوب مشترك مسهم في تحقيق (٨) غايات تربوية، هي: التذكر، والتفقه، والتعقل، والتفكر، وتصحيح المسار، والتقوى، والهدى، والإيمان بلقاء الله، مما يشير إلى أهمية التعلم والتعليم القائم على التفاعل في وجود معلّم يوضح ويفصل ويصرف الآيات في تحقيق عدد كبير من الغايات التربوية.

ثانيا: النتائج المرتبطة بغاية (التفكّر):

(١) يمكن تحقيق غاية (التفكر) من خلال عدة أساليب، هي: توافر محتوى مثير لعملية التفكر من خلال معلم بخصائص مميزة، وتوضيح الآيات بالتبيين، وقص القصص، وضرب الأمثال.

(٢)تبيين المحتوى لا يكون تبيينًا كاملا من جانب المعلم، بل عليه أن يشرك المتعلم في اكتشاف واستنباط بعض الأمور، وعرض مقارنات بينها لإبراز الإيجابيات والسلبيات، وهذا مما ينشط العقل ويثري التعلم النشط، ويعزز قدرات التفكر والتأمل والتدبر وغيرها من العمليات المعرفية والعقلية.

(٣) في ترك الفرصة للمتعلم أن يتخذ قراره بعد بيان الأمر له بإيجابياته وسلبياته، يحمل معاني احترام المتعلم وعقله الذي كرمه الله به، وأن التعليم لا يهدف إلى إكراه المتعلم على تعديل سلوكه، بل يعطيه البصيرة والقدرة على تحديد غايته.

(٤) ليس من المقبول تربويًّا أن يحاسب المتعلم على قرار قبل إعطائه الفرصة لتدبر إيجابياته وسلبياته، و(تبيين) ما يتصل بهذا القرار وما يترتب عليه.

(٥) تقريب المعقول من المحسوس من الوسائل التي ينبغي أن يستخدمها المربون من أجل تبيين وتوضيح المحتوى، وهذا مما يعزز مهارة (التفكر)

(٦) ضرب الأمثال من الأساليب التي تنشط المتعلم وتؤثر إيجابًا في تعزيز قدراته الذهنية والواجدانية، باعتبار أن التفكر حالة ذهنية وجدانية.

(٧) يشترط في المعلم أن يكون متمكنًا من تخصصه العلمي، حريصًا على تعليمه للمتعلمين، ومتبعًا لهذا المحتوى ومؤمنًا به ومطبقًا له.

(٨) التبيين ليس مجرد قراءة للنص والتصريح به، بل يشمل الشرح والتوضيح باستخدام أساليب القياس والاستنباط.

(٩) التفكر غاية بنائية تترتب عليها غايات أخرى كالهداية، فكأن التفكر وسيلة من وسائل تحقيق الهداية.

(١٠) استخدام أسلوب القصة كأسلوب تربوي، له تأثير في نفوس المتعلم أقوى من مجرد عرض المادة العلمية مجردة أو بأدلتها فقط، لما في استحضار مشاهد القصة وأحداثها من تأثير في تنشيط عمليات العقل، وإيقاظ الوجدان، ليتحد مع الأحداث فيعيشها، وهذا مما يؤثر في نفس المتلقي فيقاوم الملل وتشتت الانتباه، ويظل مستمعا منتبها للقصة لشغفه بمعرفة أحداثها ونهايتها، خاصة إذا كانت معروضة بأسلوب يجذب الانتباه، فتؤثر في العقل والقلب معا.

(١١) ليست كل قصة (مربية)، بل القصص المربية هي القصص الهادفة ذات المحتوى المتفق مع المبادئ الإسلامية، والقصة المعروضة بطريقة مشوقة جذابة لضمان تأثيرها والانتباه لها، والمقرونة ببعض الأساليب التربوية الأخرى كضرب الأمثال، لتكون أكثر تأثيرا بإثارتها لتفكر أكبر وأعمق.

ثالثًا: النتائج المرتبطة بغاية (التعقّل):

(١) يمكن تحقيق غاية (التعقل) من خلال عدة أساليب، هي: توضيح الآيات بالتبيين وبالتجريب القائم على الرؤية، والتعليم باللغة الأم ذات الثراء اللغوي، وبيان الحقائق العلمية المجهولة، والوصية.

(٢) من أهم أساليب تحقيق غاية التعقل، تبيين الدلائل بالشرح والتوضيح وبيان العلة والحكمة والتطبيق العملي في المواقف الحياتية.

(٣) المعلم أساس العملية التعليمية فهو المنوط بتبيين الآيات وتوضيحها وبيانها بيانا شافيا، وبدونه قد لا تكتمل عملية (التعقل)

(٤) تتحقق غاية (التعقل) عندما يكون التعليم بلغة المتعلم الأم.

(٥) لكي تتحقق غاية (التعقل) ينبغي أن يكون المحتوى منظمًا ومعدّا للقراءة بأسلوب يسهم في تعقله وفهمه.

(٦) بداية تنمية أي مهارة عقلية يتوقف بالدرجة الأولى على تعلم اللغة وفهم معانيها، وهذا يعد الخطوة الأولى لنجاح أي عملية تربوية، فمن لا يفهم اللغة لن يتعلم، إذ إن استخدام اللغة المفهومة يسهم في تعقل المعاني والصور التي تحتويها.

(٧) يحتاج التعقل إلى لغة متعددة الألفاظ والمعاني، فكلما امتلك المتعلم ثروة لغوية كبيرة، كان هذا مساعدا له في التعلم والفهم والتعقل.

(٨) التيسير على المتعلم من معينات التعقل.

(٩) اللغة الأم هي لغة التفكير والتعقل، ولذا فمن يتعلم لغتين أو كان من أصل ما ونشأ في بيئة بلغة أخرى فإن لغته الأم تتحدد باللغة التي يفكر بها.

(١٠) من أساليب تحقيق غاية (التعقل) سعى المعلم لاستثارة العقول من خلال بيان بعض الحقائق المثيرة للعمليات العقلية.

(١١) من معينات (التعقل) أن يكون المحتوى التعليمي الذي يقدمه أي مربٍّ أو كاتب محتوى يتسم بالجدّة التي تثير اهتمام المستمع أو القارئ، وأن من يكرر كلام السابقين دون جديد لا يثير اهتمام العقول ولا يترك لها فرصة للتعقل والتدبر.

رابعًا: النتائج المرتبطة بغاية (التفقّه):

(١)مما يسهم في تحقيق غاية (التفقه): استخدام أساليب عرض مختلفة للمادة العلمية، منها ما يعتمد على الحس، ومنها ما يعتمد على العقل، ومنها ما يعتمد على الإخبار عن الغيبيات، وقد يفتح المجال للتخيل والإبداع.

(٢) يشير أسلوب (تصريف الآيات) إلى: التنويع في أساليب وطرائق عرض الدرس، التنويع في الأدلة والأمثلة، والتنويع في الصوت، والتنويع في طرق التدريبات والتمرينات.

خامسًا: النتائج المرتبطة بغاية (التذكّر):

(١) يمكن تحقيق غاية (التذكر) من خلال عدة أساليب هي: وجود محتوى يتسم بـ (البصيرة . الهدى . الرحمة . التيسير بلغة مفهومة وعلى لسان معلم فصيح)، وتوضيح الآيات بـ (التبيين . التوصيل)، وسوق الحجج والأدلة، وضرب الأمثال، والوصية، والوعظ، والإنذار والوعيد، والعقوبة.

(٢) تبيين الآيات بـ (التوصيل) يعني ضرورة استدامة التربية وعدم الفصل بين مراحل الدراسة بمراحل زمنية تؤدي إلى النسيان.

(٣) استمرارية التعلم مع القدر القليل أكثر معينا للتذكر من تعليم المتعلم قدرا كبيرا وتركه فترة طويلة.

(٤) تُساق الحجج مخاطبة للعقل داعية له إلى التفكر والقياس

(٥) تبدأ أي عملية تقويم أو إصلاح بالتشخيص، وذلك بالتبصرة بالسلبيات والأخطاء.

(٦) لا يتوقف الإصلاح عند مرحلة التبصرة بالأخطاء أو التشخيص، بل لا بد من تقديم البديل الجيد، متمثلا في الهداية إلى الحق والإرشاد إلى الصواب.

(٧) أساليب التربية في الإسلام ليست كلها متوازية زمنيًّا، فبعضها ينبغي أن يسبق بعض، واستخدام بعضها متوقف على تلك الأساليب التي تم استخدامها قبلها، فعلى سبيل المثال، فإن العقوبة كأسلوب تربوي ينبغي أن تُسبق بعدة أساليب أخرى قبل اللجوء إليها، ومن هذه الأساليب الإنذار بالعقاب.

(٨) العقوبة أسلوب تربوي وليس انتقاميًّا، وتأثيره التربوي لا يقتصر على المعاقب فقط، بل يتعداه إلى من الآخرين الذين يرون العقوبة فيتعظوا بها، ولذا شرع الله في بعض العقوبات أن يشهدها طائفة من المؤمنين للاتعاظ والوقاية من الوقوع في نفس الخطأ.

(٩) العقوبة لا تكون بإلحاق الأذى بالمعاقب فقط، بل تكون أحيانًا بحرمانه اللذة.

(١٠) العقوبة في الإسلام رحمة بالمعاقب والمشاهد للعقوبة، لأنها تمنع المعاقب من التمادي في خطئه، وتقي المجتمع من أخطائه، وترحم الآخرين من الوقوع في نفس الخطأ.

سادسًا: النتائج المرتبطة بالغايات التقويمية:

(١) تشتمل الغايات البنائية التقويمية على ثلاث غايات، هي: (تصحيح المسار، والتضرع، والكف أو الانتهاء).

(٢) تتحقق غاية (تصحيح المسار) أو الرجوع إلى الفطرة بمجموعة من الأساليب، هي: توضيح الآيات بالتفصيل والتصريف، والابتلاء بالحسنات والسيئات، والعقوبة.

(٣) تصحيح المسار لا يكون بالإجبار أو القهر، وإنما يكون بسوق حجج وأدلة تحترم عقلية الفرد وتحافظ على كرامته الإنسانية، فيتم التفصيل له، وتركه يستعمل عقله فيما سيق له من تفصيل ليتخذ قرارا حرًّا بالرجوع إلى الفضيلة، فيكون رجوعه رجوع المتعقل المتفكر المتذكر الحر، مما يسهم في صدق رجوعه وبقاء أثر تعلمه.

(٤) التعزيز الفوري أكثر تحفيزًا وتشجيعًا مهما قلت قيمته، وأن العقاب الفوري أكثر ردعًا مهما قلت قوته.

(٥) (التدرج) مبدأ مهم في تعديل السلوك وتصحيح المسار، فيبدا أولا بتوضيح الآيات بالتفصيل، ثم توضيحها بالتصريف، ثم بالترغيب والترهيب، وأخيرا تأتي العقوبة، ومن الخطأ تربويا أن يبدأ المربي بالعقوبة قبل الشرح والتوضيح والبيان والترغيب والترهيب.

(٦) العقوبة أيضا يتم استخدامها كأسلوب تربوي وفق مبدأ (التدرج)، ففي الآيات (إذاقة من الفساد)، ثم (لإذاقة من العذاب الأدنى)، ثم (أخذ بالعذاب)، وآيات عذاب متعددة متنوعة، (كل آية أكبر من أختها)، في إشارة إلى أهمية البداية بأسلوب عقاب هين، فإن أتى ثماره فلا داعي للأسلوب الأكبر منه، إلا إذا لم يؤثر في نفس المخطئ فيتم استخدام أسلوب أكبر منه وفق مبدأ (التدرج)، ومن الخطأ تربويا أن يبدأ المربي بأسلوب العقوبة الشديدة قبل أسلوب العقوبة الهين.

(٧) بتتبع غاية (التضرع) في القرآن الكريم، يتضح أنها ارتبطت بأسلوب واحد لتحقيقها، وهو (العقوبة بالبأساء والضراء)

(٨) غاية الكف أو الانتهاء والتوقف عن الخطأ، يمكن تحقيقها في حالة علاج السبب، وعدم الاكتفاء بعلاج العرض فقط.

(٩) سمو الغايات في الإسلام وتجردها عن المصالح الشخصية.

توصيات الدراسة:

في ضوء نتائج الدراسة يمكن التوصية بما يلي:

(١) أن يكون التركيز في إعداد المناهج والكتب الدراسية على التعليل وبيان الفوائد والتوظيف الحياتي، حتى يكون هذا مسهمًا في تربية العقل على (التعقل والتدبر والفهم)

(٢) ضرورة الاهتمام بتدريب المعلمين على كفايات (التبيين)، وأهمها: الفصاحة والبيان وامتلاك الثروة اللغوية التي تكفيه لتوضيح الدلائل والمعارف وغيرها، وهذه الكفايات تسهم في تحقيق غاية (التعقل) لدى المتعلمين.

(٣) أن يكون في المحتوى الدراسي من الوضوح والفصاحة ما يسهم في تبيينه وتوضيحه، بعيدا عن الغموض الذي يحول دون (التعقل)

(٤) ينبغي أن تركز نظم التربية والتعليم في مرحلة البناء للطفل على إتقانه لغة التعلم وفهمها باعتبارها أداة التعلم، دون أن يتم إضعافها بتداخلها مع لغات أخرى، وخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة.

(٥) أن يفهم المربون أن قص القصص لا يكون بعرضه فقط، وإنما ليتركوا فرصة للمتعلمين للتفكر والتدبر واستنباط العبر والعظات والنقد والتقويم، وهذا مما يسهم في تعزيز قدرات التفكير الناقد والإبداعي.

(٦) ضرورة أن يبين المعلم للمتعلم الفائدة مما يقدمه من أحكام أو مبادئ أو مفاهيم أو غيرها، وأن يكون المحتوى المقدم يلبي احتياجات المتعلم، وأن يكون التعليم متسقا مع احتياجات المجتمع، وأن يذكر المربي للطفل أو المتعلم العلة من منعه من شيء ما أو أمره به، ليكون ذلك مسهمًا في تذكره وعدم نسيانه.

(٧) أن يكون لكل شهادة من الشهادات (مدة صلاحية) لا ينتقل المتعلم للأعلى منها بعد انقضاء المدة، إلا إذا اجتاز اختبارًا للتأكد من تذكره وفهمه لما درسه.

(٨) أن لا يذكر المربون مبدأ أو حكمًا أو معلومة مجردة عن الأدلة والحجج، فهذه الأدلة والحجج مما يسهم في بقاء أثر التعلم ومقاومة النسيان.

(٩) أن يحرص الآباء على إقران توجيههم للأطفال بأدلة وحجج تناسب مستواهم العمري والعقلي.

(١٠) أن يهتم المربون بتنمية مهارات النقد والتقويم لدى المتعلمين، والقدرة على إقامة الحجة المدللة على الفكرة أو الرأي.

(١١) أن تكون الأدلة والحجج التي يسوقها المربون والدعاة ظاهرة ومشاهدة لا يُختلف عليها، حتى يكون ذلك أدعى للإقناع والاقتناع.

(١٢) أن يعمل محفظو القرآن الكريم على أن يكون التعليم والتحفيظ مستمرًّا بشكل يومي حتى لو كان القدر المحفوظ قليلا، تحقيقا لأسلوب (توصيل الآيات)، لأن هذا يسهم بشكل كبير في التذكر ومقاومة النسيان، هذا بخلاف ما إذا كان الجدول الدراسي يسير وفق تحفيظ كم كبير مع فاصل زمني كبير.

(١٣) حسن انتقاء المحتوى التعليمي، ليكون وسيلة للهداية إلى الحق، والبعد عن الباطل.

(١٤) أن يشتمل المحتوى التعليمي على عدة خصائص قد تشتمل على مراحل تتابعية، هي: بيان السلبيات بخاصية (البصائر) وتعديلها بخاصية (الهدى)، في إطار من خاصية (الرحمة) في الأسلوب وفي الغاية، إضافة إلى خاصية (التيسير على المتعلم)، وهذا التيسير يكون بأمرين:الأول: أن يكون المحتوى بلغة واضحة ومفهومة، ليكون أيسر على المتعلم فهمه، والثاني: أن يوضحه معلم طلق اللسان من أهل اللغة التي يعلّم بها.

(١٥) أهمية تعريب العلوم التي يتم بها التعليم في الكليات العملية، وقد يسهم هذا التعريب في تسهيل فهم المتعلم وتذكره لكونه قد تعلمه بلغته الواضحة المفهومة.

(١٦) أن يعلّم اللغة معلم من أهلها، فيعلم العربية للناطقين بغيرها معلم عربي، ويعلم الإنجليزية للناطقين بغيرها معلم إنجليزي، وهكذا، فإن أهل اللغة أقدر على تعليمها وتوضيحها، لتتحقق خاصية (التيسير) فتتحقق غاية (التذكر).

(١٧) أن يكون المعلم ميسّرًا للعملية التعليمية، يختار اللغة السهلة التي تيسر فهم المحتوى بعيدًا عن التقعر والجمود ومخاطبة المتعلم بما لا يفهم.

(١٨) عدم الاستجابة لكل مطالب الأطفال وتلبيتها، فالحرمان من بعض الأمور قد يعد تربية وتدريبا للنفس على تحمل المشاق والصعاب والتجهيز لمواجهة أي أزمات أو عقبات.

(١٩) ينبغي أن تكون العقوبة على مراحل ودرجات، وذلك لأن الهدف منها تربية النفوس وترقيق القلوب وتقويم السلوك، وليس الانتقام أو الإيذاء، ولذا ينبغي أن يتم استخدام أسلوب (العقاب) وفق مراحل متدرجة من الأهون إلى الهين إلى الكبير إلى الأكبر.

(٢٠) أن يحرص الآباء والأمهات في تعديل سلوك أبنائهم على بيان الإيجابيات والسلبيات بيانا تفصيليا، فالوصول إلى الفضيلة باختيار أبقى أثرا وأكثر صدقًا من الوصول إليها بالإكراه.

مقترحات الدراسة:

في ضوء الدراسة الحالية يُقترح دراسات أخرى مكملة لها في المجال من أهمها:

(١) المضامين التربوية في آيات الفلاح في القرآن الكريم.

(٢) سيكولوجية الهداية في القرآن الكريم.

(٣) أساليب تحقيق الغايات التربوية الكبرى في القرآن الكريم.

(٤) الدلالات التربوية لغاية (الشكر) في القرآن الكريم.

(٥) استراتيجيات تبيين الآيات في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية.

مراجع الدراسة:

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: التفاسير:

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤م)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، تونس، الدار التونسية للنشر.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (١٩٩٩م)، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢.

(٣) الألوسي، شهاب الدين محمود (١٤١٥هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الكتب العلمية.

(٤) الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى (د.ت)، روح البيان، بيروت، دار الفكر.

(٥) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (١٤٢٠هـ)، مفاتيح الغيب . التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣.

(٦) رضا، محمد رشيد (١٩٩٠)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٧) الزمخشري، جار الله محمود بن عمرو (١٤٠٧هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣.

(٨) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (٢٠٠٠)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بيروت، مؤسسة الرسالة.

(٩) الشعراوي، محمد متولي، ١٩٩٧، تفسير الشعراوي – الخواطر، القاهرة، مطابع أخبار اليوم.

(١٠) الطبري، محمد بن جرير (٢٠٠٠م)، جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة.

(١١) طنطاوي، محمد سيد (١٩٩٨)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(١٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (١٩٦٤)، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢.

(١٣) النعماني، سراج الدين عمر بن علي(١٩٩٨م)، اللباب في علوم الكتاب، بيروت، دار الكتب العلمية.

ثالثًا: بقية المصادر والمراجع:

(١٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (د.ت)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بيروت، دار الكتب العلمية.

(١٥) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي(١٤١٤هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٣.

(١٦) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (١٤١٢هـ)، معجم الفروق اللغوية، إيران، مؤسسة النشر الإسلامي.
(١٧) الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد، (١٤١٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، دمشق . بيروت، دار القلم، الدار الشامية.
(١٨) البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٢٢هـ)، صحيح البخاري، القاهرة، دار طوق النجاة.
(١٩) بن الحاج جلول، لزرق، وآخرون (٢٠١٨)، واقع التربية بأسلوب الأمثال من خلال آراء أساتذة المرحلة الثانوية، دراسة ميدانية، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان – مخبر الدراسات الاجتماعية والنفسية والانثروبولوجية، مج٤، ع١، ص ص ١٩٠ . ٢٠٣.
(٢٠) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (١٩٨٣)، كتاب التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية.
(٢١) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (١٩٨٧)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤.
(٢٢) الحازمي، خالد بن حامد (٢٠٠٢)، التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة، ع ١١٦، السنة ٣٤.
(٢٣) الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (د.ت)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية.
(٢٤) الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء (١٩٧٩)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر
(٢٥) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٢٠٠٤)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، القاهرة، مكتبة الآداب.
(٢٦) شحاتة، حسن، النجار، زينب (٢٠٠٣)، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
(٢٧) شرفاوي، حاج عبو (٢٠١٨)، الأسس النفسية لتعليم التفكر، الجزائر، جامعة طاهري محمد بشار، مخبر الدراسات الصحراوية، مج٧، ع١، فبراير، ص ص ١١٨ . ١٣٤.
(٢٨) العقاد، عباس محمود (٢٠٠٣)، عبقرية محمد . صلى الله عليه وسلم، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
(٢٩) عمر، أحمد مختار عبد الحميد (٢٠٠٨)، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب.
(٣٠) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي (د.ت)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق، بيروت، مؤسسة الرسالة.
(٣١) محمد، أحمد عبدالغنى (٢٠٠٠)، "تربية الطفل ورعايته فى الإسلام"، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، ع٤٤.

(٣٢) مسلم بن الحجاج، أبو الحسين (د.ت)، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
(٣٣) مصطفى، إبراهيم، وآخرون (د.ت)، المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية.
(٣٤) المناوي، زين الدين محمد (١٩٩٠)، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهرة، عالم الكتب.
(٣٥) النحلاوي، عبد الرحمن (٢٠٠٧)، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ط٢٥.
(36) Langa, C. (2014). Rewards and Punishments Role in Teacher-Student Relationship from the Mentor's Perspective. Acta Didactica Napocensia, 7(4), 7-12.
(37) Obadire, O. T., & Sinthumule, D. A. (2021). Learner discipline in the post-corporal punishment era: What an experience!. South African Journal of Education, 41(2),1-8.